الفصل الرابع عشر بعد المئة

الحرف

من الحرف المتداولة بين الجاهليين النجارة والحدادة والحياكة والنساجة والخياطة والصياغة والدباغة والبناء ونحوها من حرف يحترفها الحضر في الغالب. أما الأعراب فقد كانوا يأنفون من الاشتغال بها، وينظرون الى المشتغلين بها نظرة احتقار وازدراء لأنها في عرفهم حرف وضيعة، خلقت للعبد والرقيق والمولي، ولا تليق بالحرّ، حتى إن الشريف منهم وذا الجاه، كان لا يحضر وليمة يدعوه اليها شخص من أصحاب هذه الحرف، استنكافاً وازدراءً؛ لأنه ليس في منزلته ومكانته. وقد كان عمل الرسول كبيراً في نظر رؤساء القوم يومئذ، حينما جوّز حضور طعام الخيّاط والصائغ وأمثالها، وكان يحضر منازلهم، فعدّ القوم ذلك عملاً غير مألوف ومخالفاً للعرف والتقاليد[1].

وقد كان أكثر أهل القرى ينظرون الى الحرف والمحترفين بها نظرة ازدراء كذلك، ويأنفون لذلك من التزاوج معهم، ويعيّرون من يتزوج من امرأة أبوها قين أو نجار أو دبّاغ أو خياط، ويلحق هذا التعيير الأبناء كذلك. وينظرون هذه النظرة الى المشتغلين بزراعة الحضر مثل البقول في الغالب، ولا تزال هذه النظرة معروفة في جزيرة العرب وفي أماكن أخرى خارج حدود هذه الجزيرة

---

١ « وفيه جواز أكل الشريف طعام الخياط والصائغ واجابته دعوته »، « باب ذكر الخياط »، عمدة القارىء (١١/ ٢١٠ وما بعدها).

كالعراق . وهذه هي مشكلة من جملة المشكلات التي أثرت في الاقتصاد العربي وفي الحياة الاجتماعية ، وإن كانت قد أخذت تخف في هذه الأيام .

ولم يكن العرب وحدهم ينظرون الى الحرف والمشتغلين بها نظرة ازدراء ، بل كانت شعوب العالم كلها تقريباً تنظر الى طبقة أصحاب الحرف مثل هذه النظرة ؛ لأن الحرف هي من أعمال الطبقات الدنيا من سواد الناس الرقيق والموالي . أما الحُرّ ، فلم يخلق لها ولم تخلق له . كذلك كانت نظرة قدماء اليونان الى هذه الحرف ، لأنها عندهم من الأعمال التي يقوم بها سواد الناس ورقيقهم[1] .

وهذه الحرف لم يختص بها الجاهليون وحدهم ، بل كانت عامة معروفة ومتداولة عند جميع الشعوب لتلك العهود . وهي لبساطتها وبداءتها متشابهة ، لا تجد اختلافاً في آلاتها وأدواتها المستعملة عند الشعوب . فأدوات النجار تكاد تكون واحدة ، سواء أكانت عند النجار العربي الجاهلي ، أو النجار العبراني ، أو النجار النبطي . وكذلك قل عن أدوات الحدّاد والصائغ وغيرهما من الطبقات العاملة التي ترتزق وتعيش على هذه الحرف التي تعتمد على اليد .

ونجد في كتب اللغة والأدب وأمثالها ألفاظاً عديدة معربة ، استعملها أهل الجاهلية وذلك بتعريبها ونقلها من أصول عجمية معروفة ، فيها الفارسي والآرامي واليوناني واللاتيني والحبشي والنبطي . وهي مما يدخل في باب الآلات والأدوات والمآكل والملابس والبيت والثقافة والعلم ، دخلت العربية ، لأنها كانت مصطلحات متداولة عند أهلها معروفة ، أخذها العرب منهم باحتكاكهم وبتأثرهم بهم ، وقد صقل بعضها وهذب ووسم بسمة عربية ، وأدخل على بعض آخر بعض التعديل ليتناسب مع أسلوب النطق العربي ، وقبل بعض آخر على نحو ما كان في أصله واستعمل في العربية حتى صار في ظن من لا وقوف له على العربية انه عربي صميم .

والألفاظ المعربة التي نعنيها ، قديمة ، دخلت قبل الاسلام بمئات السنين . وقد استعملتها الألسن وتداولتها ، وصارت بهذا الاستعمال ألفاظاً عربية مستساغة . ومنها ما هو مستعمل حتى الآن . وجمع هذه الكلمات وضبط معانيها وتبويبها وتصنيفها ، عمل مهم نافع أرجو أن يتهيأ له أصحاب العلم والاختصاص ، فبها

---

١ Hastings, p. 52.

نتمكن من الوقوف على الاتصال الفكري الذي كان بين العرب وغيرهم ، وبها نتمكن أيضاً من الوقوف على مدى الاتصال ومقدار تغلغله في جزيرة العرب . وبأمثال هذه الدراسة سنتمكن أيضاً من تكوين صورة علمية صحيحة للتأريخ الجاهلي وهي صورة ستغير ، ولا شك ، كثيراً من هذه الآراء القديمة عند كثير من الناس عن الجاهليين ، تكونت من دراستهم لروايات أهل الأخبار عن العرب قبل الاسلام .

ولم يخفَ أمر هذه المعربات عن قدماء علماء اللغة ، فقد أدركوا وجودها ودخولها في العربية قبل الاسلام ، وألفوا فيها ، وأشاروا اليها في معجمات اللغة ووضع بعضهم بحوثاً في معربات القرآن . وهي تفيدنا فائدة كبيرة بالطبع في الوقوف على الصلات الثقافية التي كانت بين العرب والعالم الخارجي قبل الاسلام، وإن كانت تلك البحوث والمؤلفات قد كتبت بطريقة ذلك العهد ، استناداً الى الروايات دون التثبت منها وتعرّف أصولها وتتبع مواردها بدراسة اللغات الأجنبية ومقارنتها ومطابقتها بالأصل . وهي طريقة أوقعتهم في أغلاط ، ولكنها، أفادتنا مع ذلك فائدة كبيرة في معرفة هذا الغريب الدخيل ، وفي تكوين رأي في الدراسات اللغوية عند علماء اللغة القدامى[1] .

وقد عثر الرحالون والمنقبون على ألواح من الخشب وعلى شبابيك ومواد خشبية أخرى في اليمن وفي حضرموت منقوشة نقشاً بديعاً ومحفورة حفراً يدل على دقة الصنعة وإتقان في العمل . وهي شاهد على تمكن النجار من مهنته ، وعلى قدرته فيها ، وعلى حسن استعماله ليده وعلى سيطرته عليها في استخدامها للأدوات النجارية في صنع النفائس والطرائف من الخشب .

والحرف وراثية في الغالب ، يتعلمها الإبن عن والده ، وتنحصر في العائلة فتنتقل من الآباء الى الأبناء . ولا يسمح لغريب أن يتعلم أسرار الحرفة وأن يقف عليها وخاصة في الحرف المربحة وفي الحرف التي تحتاج الى مهارة ودقة وذكاء خوفاً من وقوع المنافسة ، وانتقال سر العمل والنجاح الى شخص غريب فينافس أصحاب الحرفة في عملهم وينتزع منهم رزقهم . لذلك حوفظ على أسرار المهنة ، ولم يبح بأسرارها حتى لأقرب الناس اليهم ، وفي حالة اكتشاف رجل طريقة جديدة غير

---

١ المعرب ، للجواليقي ، الاتقان في علوم القرآن ، للسيوطي (١/٢٣١) .

معروفة في حرفته، فإنه يحتفظ بسره حتى لا يتسرب الى الغرباء ومنهم من لا يعلّم حتى أولاده سرّ المهنة إلا في حـــالة شعوره بعجزه عن العمل أو بقرب وفاتـــه ودنوّ أجله، خشية انتقال السر منهم الى غيرهم، فينافسونهم على رزقهم ومصدر قوتهم من هذا السرّ .

وينضم أصحاب الحرف بعضهم الى بعض مكوّنين (صنفاً)، أي طبقة خاصة، تتعاون فيما بينها تعاون النقابات الحرفية والمهنية في الوقت الحاضر، يتولى رئاستها أبرز رجال (الصنف) . وإذا مات أحدهم تعاونوا في تشييعه ودفنه وفي مساعدة أهله ومؤاساتهم . وذلك لحماية رجال الحرفة من كل سوء قد يقع عليها وللمحافظة على حياتهم، ولا يسمح (الصنف) بدخول غريب بينهم، لأنهم جماعة ورثت حرفتها، فلا يجوز لغريب مزاحمتهم فيها .

ويتجمع رجال بعض الحرف في أماكن معينة، كما هو الحال في الوقت الحاضر، كأن يتجمع الحدادون في منطقة معينة، والصاغة في حي، والصفارون في حـي والنجارون في حي، وذلك للتعاون فيما بينهم، وتنسب تلك المحلات اليهم .

وقد تشتهر مدينة ما بحرفة من الحرف، فيكون لمنتوجها شهرة واسعة وتباع بأسعار عالية . وقد تشتهر منطقة بجملة صناعات . فقـــد اشتهرت اليمن بالبرود كما اشتهرت بسيوفها، التي اكتسبت شهرة بعيدة واسعة في كل جزيرة العرب : واشتهرت بعقيقها كذلك وبأنواع أخـــرى من التجارات . واشتهرت مكة ببعض أنواع العطور واشتهرت ثقيف بالدباغة وبالأدم .

وقد كانت أجور العمل معروفة عند الجاهليين . فتُدفع للعمال والصناع أجور يومية، كما تدفع لهم أجور مقطوعة عن عمل معين . وليس لهـــؤلاء العمال من أتعاب عملهم سوى ذلك الأجر المتفق عليه . أما الرقيق، فلا يدفع لهم في العادة أي شيء، سوى ما يقدم لهم من طعام وملبس وحماية . وعليهم في مقابل ذلك الاشتغال بالشغل الذي يوكل اليهم به أسيادهم، ولا حق له بالنسبة لقوانين ذلك الوقت الامتناع عن القيام بالعمل الذي كلفوا به .

والأجور، قد تكون يومية وقد تكون سنوية وقد تكون مقطوعة. ولا يشترط في الأجر أن يكون نقداً، فقد يدفع عينة، أي مالاً مثل طعام، أو كساء، لندرة النقد في ذلك الوقت . ومن أمثلة الحرف التي تدفع عنها الأجور، حرفة

البناء ، فيُدفع للعامل أجر يومي في الغالب . والنجارة والحصاد ، وتدفع عنها أجور مقطوعة على الأكثر والرعي وأمثال ذلك من حرف ، يقوم بها سواد الناس لاعاشة أنفسهم منها .

ويمكن تصنيف وجمع الحرف التي عرفت عند الجاهليين في حرف النجارة ، وهي تنجير الخشب وتحويله الى متاع وأثاث أو الى عمل البناء أو الى تماثيل وزخارف وما أشبه ذلك ، ثم حرف البناء ، وتتناول كل ما يتعلق بالبناء من أعمال ، ثم حرف الإعاشة ، ثم حرف التعدين والمعادن ، ثم حرف الجلود، وحرف الملابس وحرف التجميل وحرف أخرى .

النجارة :

والنجارة من الحرف القديمة المهمة في المدن . وقد عثر على نماذج من مصنوعات خشبية في اليمن تدل على حذق النجار وذكائه وتقدمه في مهنته . ويظهر من روايات أهل الأخبار أن أهل مكة والمدينة لم يكونوا على حظ كبير في النجارة ، ولذلك كانوا يستعينون بالرقيق وبالأجانب في أعمال نجارتهم كاليهود أو الروم : وفي الذي رووه عن تسقيف الكعبة في أيام الرسول وقبل نزول الوحي عليه ما يدل على ندرة النجارين في مكة في تلك الأيام . ويعلل أهل الأخبار ذلك بسبب أنفة العربي من الاشتغال بالحرف . فاعتمد على الأجانب وأغلبهم من الرقيق في اداء هذه الحرفة .

والنجار ، هو الذي ينجر الخشب . فيقوم بنشره وحفره واصلاحه وعمله على النحو المطلوب وحرفته النجارة . وفي هذا المعنى : نجارة الخشب[1] .

ومادة النجارة ، الخشب . وهو نوعان : نوع مستورد من الخارج ، إما من الهند ، وإما من إفريقية ، وهو من النوع الجيد الصلب القوي المقاوم . وهو ثمين غال . لهذا استعمل في صنع الأثاث الفاخر الثمين وفي الأدوات التي تحتاج الى خشب صلب مقاوم وفي المعابد والقصور وفي الأبنية المهمة ، ومن أهم أنواعه

---

١ اللسان (١٩٣/٥) ، Hastings, A dictl. of the Bible, I. p. 356.

الساج والآبنوس والعندل . ونوع هو من حاصل أرض جزيرة العرب وناتجها . وهو دون الخشب الأول في المقاومة والجودة ، وفي الاستفادة منه في أعمال النجارة لأن معظمه ليس من النوع الناضج الغليظ الصلد القوي ، لا يصلح إلا للأعمال النجارية الاعتيادية وللوقود، ما خلا أنواعاً قليلة منه استخرجت من بعض الأماكن مثل (النضار) ، وهو خشب غليظ بعض الشيء ينبت شجره في غور الحجاز ، وبعض أشجار اليمن والمناطق الجبلية الأخرى[1] .

وترد في كتابات المهند كلمة (عضم) (عض) ، ويراد بها (الخشب) في لهجتنا[2] ، ترد في كتابات البنـاء بصورة خاصة ، أي الكتابات التي هي عبارة عن وثيقة بناء ، إذ كان أرباب الدور والأبنية يذكرون المواد التي استخدموها في البناء ، وفي جملة ذلك الخشب . وقد وردت لفظة (العضم) في كتب اللغة بمعنى خشبة ذات أصابع يذرى بها الطعام[3] . ويشترك العبرانيون مع العرب الجنوبيين في تسمية الخشب بـ (عض)[4] .

وقد استخدم الخشب في تقوية الجدر ، استخدموا الخشب القوي الصلد منه . ولا تزال آثاره باقية ظاهرة فيما تبقى من أبنيـة الجاهليين ، وبعضه قوي لم يعث به الزمن فساداً ، ولم يفنه ، كما استخدم في صنع السقوف والأبواب وفي تقويـة السلالم ، وفي صنع الشبابيك وأمثال ذلك من الأعمال التي تدخل في صلب البناء ، وتكون جزءاً منه . وقد استورد معظم هذا الخشب الصلد القوي الساج[5] والآبنوس والصندل[6] من الهند ومن افريقية لعدم وجوده في جزيرة العرب ، ولا تزال آثاره وقطع منه باقية على الرغم من مرور مئات من السنين عليه .

واستخدم الخشب في صنع أثاث البيت وفي كثير من الأدوات المستخدمـة في حياة الانسان . وقد عثر على بعض مصنوعات من الخشب استخدمت أثاثاً، تدل على مهارة صناعها وعلى حسن تصرفهم في صنعها وفي هندستها . ويعـبر عن الأثاث في المعينية بلفظـة (رثد) . وهي في مقابل متاع . وتؤدي أيضاً معنى التنظيم

---

١ تاج العروس (٣/٥٧١) ، (نضر) .
٢ Rep. Epi., Num. 2789.
٣ تاج العروس (٨/٤٠١) ، (عضم) .
٤ راجع المعجمات في العبرانية .
٥ تاج العروس (٢/٦١) .
٦ تاج العروس (٧/٤٠٨) .

والترتيب وتنسيق الأشيـــاء . وفي المسند لفظة أخرى تؤدي هـذا المعنى هي لفظة (ربب) ومعناها السناد والأساس أيضاً[1] . وبالمعنى المذكور ترد لفظة (رئد) في عربية القرآن الكريم[2] .

وقـــد ذكر في القرآن الكريم أسماء بعض الأثاث ، مثل الأرائك[3] والسرر[4] « متكئين على سرر مصفوفة » ، « وسرراً عليها يتكئون » ، و « عـــلى سرر موضونة » ، و « على سرر متقابلين » ، و « فيها سرر مرفوعة » ،والكرسي[5] . وقد تصنع السرر من سعف النخيل ، كما تصنع الكرسي في هذه المادة أيضاً ، وتصنع المشاجب من الأعواد المركبة توضع عليها الثياب[6] . واذا بوعد بين الأشياء المنسوج بها السرير أو غيره من سعف النخل ، قيل لذلك مرمل ، فيقال: سرير مرمل ، اذا كان قد نسج وجهه بالسعف ، وبوعد فيه بين الأشياء المنسوج بها[7] .

وقصد بالكرسي ، الكراسي الكبيرة المرتفعة ، وقد استخـــدم خاصة لجلوس الملوك ، وفي غرف الاستقبال . وقد أشير الى الكرسي في القرآن الكريم . فورد : « وسع كرسيه السماوات والأرض » .

والعرش من الألفاظ الواردة في القرآن الكريم كذلك ، وهو من البيت سقفه، ويجمع على عروش ، والعرش شبه الهودج أيضاً . وقد يصنع من الخشب ، يقوم بصنعه النجار ، وقد يكون من حجارة أو غـــير ذلك . ومن ذلك العرش الذي يتربع عليه الملوك ، والعرش : الخيمة من خشب وثمام ، والتابوت أيضاً أي سرير الموت والخشب تطوى به البئر[8] ، والعرش هو السرير الذي ينام عليه . قد يكون له حاجز يمنع النائم من السقوط ، وقد يكون له حاجـــز . وهو بهذه التسميـــة (عرش) عند العبرانيين[9] .

---

١ Rhodokanakis, Stud. Lexi., II, S. 53.

٢ شرح القاموس (٢/٣٥٠) .

٣ المفردات في غريب القرآن ، للراغب الاصفهاني (ص ١٤) ، وسيـــكون رمزه : المفردات ، « وقال الزجاج : فراش في حجلة . وقيل هو السرير مطلقا سواء كان في حجلة أو لا . او كل ما يتكأ عليه » ، شرح القاموس (٧/١٠٠) ، شمس العلوم (١/٧٢) .

٤ المفردات (ص ٢٢٨) .

٥ المفردات (٤٤١) .

٦ جامع الاصول (٤/٣٩٩) ، شرح القاموس (١/٣٠٩) .

٧ جامع الاصول (٩/٣٤٧) ، شرح القاموس (٧/٣٥٢) .

٨ المفردات (ص ٣٣٢) ، تاج العروس (٤/٣٢١) ، (عرش) .

٩ Smith, Vol., I, p. 177.

وقام النجار بصنع أواني الطعام أيضاً ، ولا سيما الأواني الكبار التي تستعمل في إطعام عدد من الناس في المناسبات ، وتدخل بيوت الملوك وسادات القبائل والأغنياء الكرماء في الغالب وفي بعض الظروف والمناسبات ، مثل المآتم والأفراح. ومنها (الجفنة) ، وهي — كما يقول بعض علماء اللغة — أعظم ما يكون من القصاع ، يوضع فيها الطعام ، ليتناول منه عدد من الناس . وقد افتخر الشاعر (حسان بن ثابت) بـ (الجَفَنات) دلالة على الكرم والجود[1] . و (القصعة) وهي تلي الجفنة في السَّعة ، يشبع الضخم منها عشرة أشخاص[2] . ثم (الصحفة) وتجمع على (صحاف) وقد وردت في شعر معزوّ للأعشى :

والمكاكيك والصحاف من الفضة والضامرات تحت الرجال

وتصنع من الفضة كذلك ، كما رأينا في هذا البيت المتقدم ، وذكر أنها تشبع خمسة أشخاص[3] . ويليها في الحجم والسعة (المثكلة) ، تشبع الرجلين والثلاثة . ثم الصحيفة ، وتشبع الرجل[4] .

وتصنع بعض هذه الأواني من مواد أخرى ، كالأدم ، أو من المعدن كما قلت في (الصحاف) حيث تصاغ من الذهب والفضة لبيوت الملوك والأمراء والشيوخ والأغنياء .

وقام النجار ، ولا سيما من تخصص بالقداحة منهم ، بعمل القدح النضار ، وهو القدح المعمول من النضار. والنضار خشب معروف في الحجاز في أيام الرسول يكون بغور الحجاز ، يعمل منه ما رقّ واتسع وغلظ من الأقداح ،وذلك لتحمل هذا الخشب ما لا تتحمله الأنواع الأخرى من الخشب المستخرج من الحجاز . وقد كانوا يدفنون هذا الخشب حتى ينضر ، ثم يعمل فيكون أمكن لعامله في ترقيقه . وقد كان عند الرسول قدح نضار عريض . ويعبر أيضاً عن الأقداح المنحوتة من الخشب بـ (الخشيب)[5] .

---

١ تاج العروس (١٦٢/٩) .
٢ تاج العروس (٤٦٩/٥) ، المعرب (ص ٢٧٤) .
٣ تاج العروس (١٦١/٦) .
٤ تاج العروس (١٦١/٦) .
٥ تاج العروس (٢٣٣/١) ، (٥٧١/٣) .

كما جهز النجارون أصحاب الحرف الأخرى بالأدوات المساعدة التي تساعدهم في حرفهم ، فصنع لأهل الطعام (الروسم) أو (الروشم) ، وهو خشبة فيها كتاب منقوش يختم به الطعام لئلا يسرق منه ، ويستخدمه الخنّاطون وأمثالهم من باعة الطعام ، وقيل : الطابع الذي يطبع به رأس الخابية . واللفظة من الألفاظ المعربة على رأي بعض العلماء[1] . وصنع للمزارعين (النورج) ، وهو المدوس ، يداس به الطعام ، وقد يصنع من الحديد أيضاً[2] . و (الهاون) ، وهو المهراس والمنحاز ، ويدق به ، وقد أدخل في المعربات . وقد يصنع من حجر[3] ، فيدق اللحم أو الحبوب فيه لسحقها .

وصنع النجار (الميتدة) ، وهي مطرقة من خشب ، يستعملها الأعرابي بصورة خاصة لدق أوتاد خيمته في الأرض . وتعرف بـ (مقبه) (مقابه) عند العبرانيين[4] .

وصنع النجار أبواب البيوت ، ويقال للخشبة التي تدور فيها رجل الباب (النجران) . ويقال لأنف الباب الرتاج ، ولمترسه القُنّاح والنجّاف . وعمل (النجيرة) : السقيفة من خشب ليس فيها قصب ولا غيره[5] .

وصنع النجار صناديق من خشب ، لخزن الأشياء فيها ، تقفل بقفل . وقد عني بزخرفتها بتلوينها أو بالحفر على أوجهها ، وذلك بالنسبة للصناديق الثمينة التي تستعملها الطبقات الراقية .

وفي جملة مصنوعات النجار (الحدوج) ، مركب من مراكب النساء يشبه المحفة ، تركبه نساء الأعراب على الإبل . وذكر ان الحدج مركب ليس برحل ولا هودج تركبه نساء الأعراب[6] . والهودج مركب للنساء مقبب وغير مقبب

---

١ المعرب (ص ١٦٠) ، تاج العروس (٣١٣/٨) .

٢ المعرب (ص ٣٣٥) ، تاج العروس (١٠٥/٢) .

٣ المعرب (ص ٣٤٦) ، « والهاون الذي يدق فيه ، فارسي معرب » ، تاج العروس (٣٦٩/٩) .

٤ Hastings, Dict. of the Bible, Vol. I, p. 291.

٥ اللسان (١٩٣/٥) .

٦ تاج العروس (١٩/٢) ، (حدج) .

يصنع من العصي ثم يجعـــل فوقه الخشب فيقبب . وذكر انه محمل له قبّة تستر بالثياب يركب فيه النساء[1] .

ويستعين النجار بجملة أدوات في صنعته ، بعضها من صنع الحداد ، لأنها من الحديد ، مثل الفأس على اختلاف أنواعها ، والمنشار والمحفرة والمحفار ، والمنقار والمسحل والمثقب والكلبتان والمسامير والأوتاد وغير ذلك من أدوات تستعمـل في قطع الخشب وفي تنظيمه وصقله وهندسته لجعله صالحاً للعمـــل[2] . ونجد في كتب اللغة ألفاظاً عديدة تتعلق بهذا الموضوع .

ومن الأدوات التي يستعين بها النجارون في قيـــاس تربيع الخشب (الكُوس) وهي خشبة مثلثة[3] .

ويستعمل النجار المنشار في قطع الأخشاب والأشجار . ويقـال لنحت الخشب النشر كذلك[4] . أما المنقار ، فهو حديدة كالفأس مستديرة لها خلف ينقر بها ، ويقطع بها الحجارة والأرض الصلبة والخشب[5] . ولا سيما في نقش الخشب وحفره. والحفرة وتعرف بالمحفار أيضاً ، حديدة يحفر بها الشيء[6] ، وتستعمـــل في حفر الخشب لأغراض متعددة ، مثل نقشه أو الكتابة عليه . وأما المِحَل ، فالمنحت، آلة ينحت بها الخشب كالمبرد[7] . والمثقب آلة يثقب بها[8] . والكَلبتان آلة يستعملها النجار والحداد ، يستعملها النجّار في اخراج المسامير . ويستعملها الحداد في أخذ الحديد المحمي[9] . وأما المسامير ، فما يشد به[10] .

ونجد في (الكتاب المقدس) — في التوراة والانجيل — أسمـــاء أدوات عديدة استعملها النجار في عمله ، منها ما استعمل لقطع الخشب واعطائه الشكل المطلوب ،

---

١ تاج العروس (٢/١١٥) ، (هدج) .
٢ بلوغ الارب (٣/٣٩٦ وما بعدها) .
٣ المعرب (ص ٢٨٨) ، « الكوس : خشبة مثلثة تكون مع النجار يقيس بها تربيـــع الخشب . وهي فارسية » ، تاج العروس (٤/٢٣٦) .
٤ تاج العروس (٣/٥٦٥) .
٥ تاج العروس (٣/٥٨٠) .
٦ تاج العروس (٣/١٥١) .
٧ تاج العروس (٧/٣٧٢) .
٨ تاج العروس (١/١٩٦) .
٩ تاج العروس (١/٤٦١) .
١٠ تاج العروس (٣/٢٧٨) .

ومنها ما استعمل لنشر الخشب وقصه ، ومنهـا ما استعمل لثقبه باستعمال المثاقب الآلية أو اليدوية التي تعمل الثقوب بالطرق وبطريقة الحفـر ، كما أشير فيه الى المسامير[1] . وقد ذكر في القـرآن الكريم ألواح الخشب التي تستعمل في صنـع السفن ، و (الدسر) وهي المسامير . والسفن في ذلك العهد من صنع النجارين . وآلات النجارة المذكورة في التوراة وفي الأناجيل ،معروفة ومستعملة عند الجاهليين. وقد تصنع الدسر من الخشب .

وهناك نجارون تخصصوا بصنع القوارب والسفن ، لاستعمالها في صيد السمك وفي البحار للتجارة البحرية والنقل . ونظراً لعدم وجود الأنهر الكبيرة والبحيرات في جزيرة العرب ، انحصرت حرفة صنع القوارب والسفن في السواحل . ويستورد أهل هذه السواحل الخشب القوي الصلد من افريقية والهند لصنع السفن الكبيرة التي يكون في مقدورها الابتعاد عن الساحل والسير الى الأماكن البعيدة .

ولا يستبعد قيام النجار الجاهلي بصنع العربات والمركبات ، وذلك لاستخدامها في السلم وفي الحرب . فقد كان المصريون والعراقيون وأهل بلاد الشام يستخدمونها، وليس من المعقول عدم وجود علم للجاهليين ولا سيما لأهل اليمن بصنعها وبالاستفادة منها . والعربة هي (عجله) (ع ج ل ه) عند العبرانيين وتستخدم في نقل الحاصلات . وقد أشير اليها في التوراة[2] . وقد عرفت بـ (م ر ك ب ه) (مركبه) كذلك ، وبـ (مركب) أيضاً ، من أصل (ركب) احدى الألفاظ التي ترد في اللهجات السامية . وهي (مركبة) في عربيتنا و (نركبتو Narkabtu) في الأشورية و (مركبثا Markabtha) في السريانية . وقد تعني الحيوان وحده الذي يركب عليه[3] .

ويراد بـ (عجاله) ، العربة التي تستخدم في نقـل الحاصلات الزراعية في الغالب ، وقد عثر عـلى صور عربات في الآثار المصرية والأشورية واليونانيـة والرومانية . وبينها عربات استخدمت في القتال . ولبعضها مظلات لتحمي ركابها من الشمس والمطر . ويسحب العربات الزراعية ثور أو ثوران في الغالب . وقد

---

١ قاموس الكتاب المقدس (٢/٢٣) ، Hastings, p. 53.

٢ Gen, XIV, 19, 27, Num., VII, 3, 7, 8, Smith, Dict., Vol. I, p. 281.
Ency. Bibl., Vol. I, P. 724, Hastings, Dict., Vol. I, P. 372.

٣ Ency. Biblica., Vol. I, p. 724 ff.

تستخدم الحمير والبغال . أما عربات القتال فتجرها الخيل . وقد كانت دواليب العربات من الخشب ، إلا انها صنعت من الحديد أيضاً . والغالب أن يكون للعربة دولابان ، ولكن العربات ذات الأربعة دواليب كانت معروفة أيضاً ومستعملة ، ولا سيما في أمور النقل . وقد كان الأكاسرة يستعملونها لنقل عوائلهم ، ولها ستائر وسقف[1] .

وذكر علماء العربية أن العجلة : الدولاب[2] . وأن (المركب) واحد مراكب البرّ والبحر[3] . والظاهر أن العجلات والمركبات كانت نادرة الوجود في أكثر مواضع جزيرة العرب . إذ لا نجد لها ذكراً في أخبار الأخباريين عن الجاهليين ولا في كتب اللغة .

الحدادة :

وقد دفعت حاجة الانسان الى المعادن لاستخدامها في أمور حربية وزراعية وفي البيت على انصرافه الى الاشتغال بها لتحويلها الى أشياء نافعة . فظهرت الحدادة والصياغة وأمثالها ، واشتغل بعض الناس بالبحث عن الحديد وعن المعادن الأخرى واستخلاصها من المواد الغريبة المختلطة بها . كما اشتغلوا في خلط المعادن لإيجاد أنواع جديدة منها . وقد وقع ذلك بين أهل الحضر في الغالب ، أما أهل الوبر ، الأعراب ، فلبساطة حياتهم لم يشعروا بحاجة لهم الى هذه الصناعات ، واذا شعروا بوجود حاجة لهم فيها اشتروها من أهل المدن ، واحتقروا الصناعات وأهل الصناعة والمحترفين بالحرف .

ويعرف الحدّاد بـ (القين) كذلك عند الجاهليين[4] . وهو الذي يعدّ للزرّاع الأدوات التي تستعمل في حرث الأرض، مثل المسحاة والمحراث والمنجل والأدوات

---

١ Smith, Dict., Vol. I, P. 295, Hastings, Dict., Vol. I, P. 357, Ency. Bibl., Vol. I, P. 724.

٢ اللسان (١١/٤٢٨) .

٣ اللسان (١/٤٣١) .

٤ « والحداد ككتان معالجه ، أي الحديد ، أي يعالج ما يصنعه من الحرف . ومن المجاز : الحداد السجان ؛ لانه يمنع من الخروج ، أو لانه يعالج الحديد من القيود »، شرح القاموس (٢/٣٣١) ، تاج العروس (٢/٣٣١) ، (حدد) .

الأخرى ، يصنعها من الحديـــد ، كما أنه يعد للحرف الأخرى ولأهل البيوت كثيراً من الآلات،يصنعها من الحديد . وكان فضلاً عن ذلك الخبير الاختصاصي بصنع السلاح على اختلاف أنواعه وتجهيز الحكومات والأفراد بالسلاح الذي يستعمل في الدفاع وفي الهجوم ، لذلك كانت حرفته مهمة خطيرة ، ولا يزال الحـــدّاد يعدّ للناس في جزيرة العرب السلاح ، كالسيوف والخناجر والدروع والسكاكين والنصال المعدنية وغير ذلك من أدوات كانت تستعمل في الحروب لذلك العهد ، وسأفرد لها بحثاً خاصاً .

وذكر بعض علماء اللغة أن القين هو العامل بالحديد . وقال بعض آخر : إن القين الذي يعمل بالحديد ويعمل بالكير ، ولا يقال للصائغ قـــين . وذكر بعض آخر أن القين الحدّاد ، ثم صار كل صائغ عند العرب قيناً . وذكر بعض آخر: أن القين هو الذي يصلح الأسنة،الى غير ذلك من آراء . وكان من بين أصحاب الرسول من كان قيناً ، مثل (خباب بن الارت)[1] ، ذكر أنه كان يشتغـــل للعاص بن وائل . وكان العاص هذا من الانادقة، ومثله : عقبة بن أبي معيط، والوليد بن المغيرة ، وأُبيّ بن خلف[2] . وكان خبّاب يضرب السيوف الجيـــاد وبدقهـــا ، حتى ضرب به المثل ، ونسبت اليه السيوف[3] . كما اشتهر بها رجل آخر عرف بـ (ريش المقعد) ، أي النبـــل . والمقعد اسم رجل كان يريش السهام[4] . والنبل : السهام ، والنبّال صاحب النبال وصانعها ، وحرفته النبالة[5] . وتحبس في الجعبة ، يحملهـــا صاحبها معه ، فإذا أراد الرمي ، فتحها ليستخرج منها ما يشاء .

ومن الحدادين الأعاجم الذين ذكرهم أهل الأخبار ، الأزرق بن عقبة أبو عقبة

---

١ تاج العروس (٩/٣١٦) (قين) ، البلاذري (١/١٧٥) وما بعدها) .

٢ عمدة القارىء (١١/٢٠٨ وما بعدها) ، « وخباب بن الارت بن جنـــدلة بن سعد بن خزيمة الخزاعي ، وقيل : التيمي ، وهو أصـــح ، أبو عبدالله ، من السابقـــين في الاسلام ، وشهد بدرا ، ثم نزل الكوفة ، ومات بها سنة سبع وثلاثين » ، شـــرح القاموس (١/٢٢٨) .

٣ تاج العروس (١/٢٢٨) .

٤ تاج العروس (١/٢٢٨) .

٥ تاج العروس (٨/١٢٥) .

الثقفي ، غلام الحارث بن كلدة الثقفي ، ذُكر انه كان روميا حداداً [1] .

ويرجع في روايـــة تنسب الى (ابن الكلبي) مبدأ الحدادة عنـــد العرب الى (الهالك بن عمرو بن أسد بن خزيمة) ، فهو في هذه الرواية أول من عمل الحديد من العرب ، وكان حداداً ، فنسب اليه الحداد ، فقيل لكل حداد : هالكي . ولذلك قيل لبني أسد القيون ، وقال لبيد :

جنوح الهالكيّ على يديه مُكبّاً يجتلي نقب النصالِ [2]

وعرف القين الذي يقوم بطبع السيوف وصقلها بـ (الطبّاع) و (الصيقل) [3] . وقد عرفت اليمن بإجادتها صنع السيوف وطبعها وصقلهـا ، حتى اشتهرت بذلك في جميـــع أنحاء جزيرة العرب . واشتهرت السيوف المصنوعـة من حديد بيحان بالجودة ، لجودة حديدها وقوته [4] . ومن الأدوات التي يستعملها (الصيقل) في صقل السيوف (المصقلة) ، وهي خرزة يصقل بها [5] .

ويقال طبع الطبّاع السيف ، أي صاغه ، وكذلك طبع الطبّاع الدرهم. والطبع عند علماء اللغة هو الختم ، والتأثير في شيء ما ، وتصوير الشيء بصورة مثل طبع السكة وطبع الدرهم ، وهو عندهم أعم من الختم وأخص من النقش [6] .

ويعتني الحداد باختيار الحديد عند صنعه السيوف الجيدة الثمينة ، ويخرج منه خبثه ، وينفق جهده في صقل السيف وفي اتقان عمل الحديد الملتهب قبل تبريده ، وإلا صار خشناً قليل الفائدة لا يشترى بثمن جيد . ويقال لهذا النوع من السيوف الخشنة الخشيب ، وتستعمل اللفظة في الضد أيضاً ، فتطلق على السيف الصيقل ، وتطلق على السيف الحديث الصنعة كذلك [7] .

ومن أنواع الحديد الجيد الذي يستخدمه الحدّاد في صنع المصنوعات الثمينة ، (الفالوذ) أي (الفولاذ) . ويقال له (بلدو) Poldo في السريانية و (فلده)

---

١ البلاذري (١/١٥٧) ، الاصابة (١/٢٩) .
٢ اللسان (١٠/٥٠٧) ، « الهالك بن مراد بن أسد بن خزيمة » ، العمدة (٢/٢٣٢) .
٣ بلوغ الارب (٣/٤٠١ وما بعدها) ، تاج العروس (٧/٤٠٤) .
٤ بلوغ الارب (١/٢٠٤) .
٥ تاج العروس (٧/٤٠٣) .
٦ تاج العروس (٥/٤٣٨) .
٧ تاج العروس (١/٢٣٣) .

(فلداه) في العبرانية . وتصنع منه الأسلحة بصورة خاصة[1] . وهو معروف في العربية ، وعرف بقولهم : « وهو مصاص الحديد المنقى من خبثه »[2] .

ويستعين الحدّاد بأدوات في طرق الحديد وفي تغيير شكله على النحو المطلوب. ومن أهم هذه الأدوات (الكير) ، وهو المنفاخ ، وهو زق ينفخ فيه الحداد، أو جلد غليظ ذو حافات ، يستعمل لاثارة النار وإيقادها ، كي ترتفع درجات حرارتها فتؤثر في الحديد وتجعله ليناً يسهل طرقه واعطاؤه الشكل المطلوب[3] . والكور وهو مجمرة الحدّاد وهي مبنيـــة بالطين وبالحجارة ، وتوقد فيها النـار ، ويسلط عليها الكير ، ويوضع الحديد على النـــار ليحمى ويلين[4] . ومن أصل (كوّر) (كور) و (كير) ، ويراد بها الموضع الذي تحرق فيه القرابين من بخور وذبائح تهيأ للحرق تقرباً الى الآلهة[5] . ويعرف الكور بـ (كور) عند العبرانيين . وقد وردت اللفظة في التوراة[6] .

ويطرق القـــين الحديد المحمى على (السندان) ، ليحولـه الى الشكل الذي يريده . ويعرف بـ (العلاة) أيضاً[7] .

وقد استغل اليهود انفة أهل المدينة والعرب الصرحاء من الاشتغال بالحدادة ، فاحتكروها لأنفسهم ، وربحوا منها ربحاً طيباً ، وذلك بإنتاجهم الأدوات والآلات الزراعية وبصنعهم الأسلحة اللازمة لكل انسان لحماية نفسه ، مثـــل صنع السيوف والخناجر والدروع . وقد سلحوا أنفسهم بها ، كما باعوا منتوجهم من غيرهم . وتصنع الدروع من الحديد الثقيل، كي تقاوم قراع السيوف[8] . وقد تزرد الدروع، لتقاوم في الدفاع ، ويقال عندئذ (درع مزرود)[9] .

والسرد عند علماء اللغة نسج الدرع ، وهو تداخل الحلق بعضهـا في بعض .

---

١ Smith, Dict. of the Bible, Vol. III, p. 1377.
٢ اللسان (٥٠٣/٣) .
٣ عمدة القارىء (٢٢٠/١١) ، تاج العروس (٥٣٢/٣) ، مجمع الامثال (٦/١) .
٤ تاج العروس (٥٣٠/٣ ، ٥٣٢) .
٥ Rhodokanakis, Stud., II, S. 33, 170.
٦ Smith, Dict. of the Bible, Vol. I, p. 637.
٧ شرح ديوان لبيد (ص ٩٦) .
٨ تاج العروس (٣٢٥/٥) .
٩ تاج العروس (٣٦٣/٢) .

والسرد اسم جامع للدروع وسائر الحلق . وسمي سرداً لأنه يسرد فيثقب طرفا كل حلقة بالمسمار ، فذلك الحلق المسرد . والمسرد هو المثقب . وهو السرّاد[1] . ويراد بالحلقة السلاح عاماً ، وقيل : الدرع خاصة ، وانما ذلك لمكان الدروع ولشدة غنائه . وقد سمي (النعمان) دروعه حلقة[2] .

وتصنع النصال من الحديد أيضاً . والنصل حديدة السهم والرمح ، ويقال نصل السيف ونصل السكين . وقد ذكر أيضاً أن نصل السيف حديدة السيف ما لم يكن له مقبض . فإذا كان لها مقبض ، فهو سيف . وقيل : إن النصل السهم العريض الطويل ، والمشقص على النصف من النصل[3] .

ومن المجاز الحداد السجّان ، لأنه يمنع من الخروج أو لأنه يعالج الحديد من القيود . وفي هذا المعنى ورد :

يقول لي الحداد وهو يقودني الى السجن لا تفزع فما بك من باس

والحداد البواب ، لأنه يمنع من الخروج[4] .

والعتلة : حديدة كأنها رأس فأس عريضة ، في أسفلها خشبة تحفر بها الأرض والحيطان ، وليست بمعقفة كالفأس ، ولكنها مستقيمة مع الخشبة ، أو هي العصا الضخمة من حديد ، لها رأس مفلطح ، يهدم بها الحائط . وقيل : هي بيرم النجار[5] .

ومن مصنوعات الحداد (الإبزيم) ، وهو حلقة لها لسان يدخل في الخرق في أسفل المحمل ، ثم تعض عليها حلقتها ، والحلقة جميعها (ابزيم) . وقد أدخلها الجواليقي في باب المعربات[6] من الفارسية . ومن مصنوعات الحدّاد (المقدحة) ، الأداة التي استعان بها الإنسان في إيجاد النار . وهي حديدة يقدح بها حجر يوضع عليه مادة قابلة للالتهاب ولأخذ النار ، مثل الصوف ، فيورى منها النار[7] .

---

١ تاج العروس (٢/٣٧٥) .
٢ تاج العروس (٦/٣١٩) .
٣ تاج العروس (٨/١٣٦) .
٤ تاج العروس (٢/٣٣١) ، (حد) .
٥ تاج العروس (٨/٣) .
٦ المعرب (ص ٢٤) ، تاج العروس (٨/٢٠٢) .
٧ تاج العروس (٢/٢٠٢) .

ويهيء الحدّاد أقفال الأبواب ، وقد يصنعهـا النجار أيضاً . ويوضع خلف الباب وتد من حديد لتسميرها ، فلا يمكن فتحه[1] ، كما يهيأ البيت بمـا يحتاج اليه من أدوات تستعمل في الطبخ وفي الغسيل وفي الزينة . ويجهز الرجـل والمرأة بالأدوات المساعـدة للتجميل كـ (المدرى) ، وهو شيء يسرح به شعر الرأس محدد الطرف من حـديد ، وقد يصنع من غيره مثل الخشب . وهو كسنّ من أسنان المشط ، أو أغلظ قليلاً ، إلا أنه أطول[2] .

وقد ذكر أصحاب اللغة بعض أسمـاء الآلات والأدوات التي كان يستعملها الحدادون في حرفتهم ، نذكر بعضاً منها ، مثل : (القرزم) و (العلاة) . والقرزم لوح الإسكاف المدور . و (المِطرقة) ، و (الفطيس) ، وهي أكبر من المطرقة ، وهي (الميفعـة) أيضاً . و (المِبرد) الذي يبرد به الحديد ، و (البرادة) ما سقط منه[3] . وأما (فسالة الحديد) فما تناثر من الحديد عند الضرب اذا طبع ، و (المشحذ) مبرد للحديد ، أعظمها وأخشنها . وقال بعض اللغويين : المشحذ المسنّ ، و (المفراص) وهو للحديـد كالمقراض للثوب ، والمنفاخ (المنفاخة) وهو ما ينفخ به الكير ، والكير الذي ينفخ فيه[4] . وأما المبني من الطين ، فهو الكور . و (المشرجع) مطرق لا حروف لنواحيه ، ومطرقة مشرجعة ، مطولة ولا حروف لنواحيها . أما اذا كان الشيء مربعاً ، وقد نحتت حروفه ، قيل له (شرجعة) . و (العسقلان) ، أصغر مطرقات الصائغ . و (الغُداف) الحديدة التي يدخل في أحد طرفيها الخاتم ويركزها على الجبأة ، والخشبة التي بين يديه . أما (الحِملاج) ، فمنفاخ الصائغ ، وهو حديدة مجوفة ينفخ فيها الصائغ ، اذا أراد النفخ في كيره . وله الكلبتان والمثقب[5] .

وقد وردت في التوراة لفظة (ا ج ن) (اجن)[6] ، وهي (اجانة) و (اجان) في العربية . وهي إناء يعجن فيه العجين،أو يوضع فيه سائل أو أي مادة أخرى .

---

١ المعرب (ص ٢٦٤) .
٢ جامع الاصول (٧/ ٥٧١) .
٣ شمس العلوم (١/ ١٤٥) .
٤ المغرب (٢/ ٢٢٠) .
٥ أخذت ذلك من بلوغ الارب (٣/ ٤٠٣ وما بعدها) .
٦ Hastings, Dict. of the Bibl., Vol. I, p. 533.

ولا تزال الكلمة حيّة معروفة . وتصنع من المعدن في الغالب ، ولكنها قد تصنع من خشب في بعض الأحيان .

ويستخدم الحدّاد المطرقة في طرق الحديد المحمى لتحويله الى الشكل المطلوب. ويقال للمطرقة الكبيرة (الفطيس) ، وتقابلها لفظة (بطيش) Pattish ، عند العبرانيين[1] . وقد أشار علماء اللغة الى (الفطيس)[2] . ويستخدم الـ (قـدوم) ، وهي مطرقة كذلك ، تسمى بـ (قردم) (قردوم) عند العبرانيين[3] . وذكر علماء العربية أن (القدوم) التي ينحت بها[4] .

ومن أنواع المطارق مطرقة دعيت بـ (جرزن) عند العبرانيين ، وتستخدم في القطع : في قطع الأشجار والأخشاب التي تستعمل في البناء . ويرى بعض العلماء أنها أخف من (القردم)[5] . وبين (جرزن) و (الجرز) اللفظة العربية تقارب وارتباط . وقد ذكر علماء اللغة أن (الجرز) من السلاح ، والعمود من الحديد وأن الجواز بمعنى : قاطـع ، ولذلك قالوا سيف جراز ومدقة جراز[6] . وهي الفأس في العبرانية ، ولعلها بهذا المعنى في العربية أيضاً . وتستعمل لقطع الأحجار والاخشاب ولتكسيرها[7] .

والمطارق الحديثة المستعملة في الشرق الأوسط وفي بلاد العرب ، لا تزال محافظة على شكلها وهيئتها التي كانت عليها عند الجاهليين وعند غيرهم قبـل الاسلام . كما يظهر ذلك من النماذج التي عثر عليها ومن صور المطارق المصورة على بعض الآثار . وبعض هذه المطارق ذات رأسين ، وبعضها ذات حافتـين . ويختلف شكلها باختلاف المهمة التي تستخدم فيها . واستخدمت المطارق في الحروب كذلك، حملها المحاربون معهم في قتال الأعداء وفي فتح الثغرات في الجدر والأسوار وتحطيم الدبابات والآلات الأخرى المستخدمة في حروب تلك الأيام .

---

١ Hastings Dict. of the Bible, Vol. I, p. 291.
٢ شمس العلوم (١/١٤٥) ، المغرب (٢/٢٢٠) .
٣ Smith, Dict., Vol. I, p. 142.
٤ اللسان (١٢/٤٧١) .
٥ Hastings, Dict., Vol. I, P. 205, Smith, Dict., Vol. I, 141 f., Ency. Bibli., Vol. I, p. 392.
٦ اللسان (٥/٣١٧) .
٧ The Bible Dictionary, I, p. III.

الصياغة :

و (الصائغ) ، من يحترف الصياغة ، وذلك في اللهجة العربية الشمالية ، ويشتغل في صياغة الذهب والفضة . وقد كان بين أصحاب الرسول من احترف هذه الحرفة . وقد ورد عن أبي رافع الصائغ ان عمر بن الخطاب كان يمازحه بقوله : « أكذب الناس الصواغ ، يقول اليوم وغداً »[1] . وكلام عمر بن الخطاب هذا يدل على أن الصاغة لذلك العهد كانوا يخلفون أيضاً في المواعيد ، ولا يحافظون على الأوقات .

وقد تحدث بعض الكتبة اليونان عن أثاث وحلي مصنوعة من الذهب والفضة ، ذكروا أن السبئيين كانوا يستعملونها في بيوتهم ، ولكننا لم نقف على شيء مهم من ذلك ، إلا قطعاً متآكلة من المعدن وصلت الينا . لنتحدث عن عمل الصاغة والحدادين في العربية الجنوبية . وأكثرها من المصنوعات المعمولة من البرنز . فلدينا مصباح من البرنز مصاب ببعض العطب ، عثر عليه في (شبوة) ، على طرفه جسم (أيل) جميل ، صنع وكأنه متهيء للوثوب . وهناك قطع أخرى تمثل احداها جملاً ، وأخرى حصاناً ، كما عثر على عصي مصنوعة من البرنز ، وعلى ألواح من هذا المعدن أيضاً ، عليها كتابات . وهي محفوظة في المتاحف الأوروبية . وهذا الذي عثر عليه هو شيء قليل بالطبع بالنسبة الى ما سيعثر عليه ، متى سمح للآثاريين بالبحث عن الآثار والكشف عن المطمور في جزيرة العرب ، ولا سيما في العربية الجنوبية حيث تشاهد تلول من الأتربة منتشرة تضم تحتها كنوزاً ثمينة من الآثار .

ويقال للذهب الأنضر ، وقد ذكر بعض علماء اللغة أن لفظة الأنضر اسم للذهب والفضة ، وكذلك النضار . أما النضرة فإنها السبيكة من الذهب . ونُضار الجوهر الخالص من التبر[2] .

وقد عرف التبر ، بأنه الذهب كله ، وقيل : هو من الذهب والفضة وجميع جواهر الأرض من النحاس والصفر والشبه والزجاج وغير ذلك مما استخرج من المعدن قبل أن يصاغ ويستعمل . وقيل : التبر هو الذهب المكسور ، وقيل الفتات

---

١ تاج العروس (٦/٢٣) .
٢ تاج العروس (٣/٥٧١) .

من الذهب والفضة قبل أن يصاغا ، فإذا صيغـا فهما ذهب وفضة . وورد التبر ما كان من الذهب غير مضروب فإذا ضرب دنانير فهو عين . وقد يطلق التبر على غير الذهب والفضة من المعدنيات كالنحاس والحديـد والرصاص ، وأكثر اختصاصه بالذهب . وورد في الحديث : الذهب بالذهب تبرها وعينها ، والفضة بالفضة تبرها وعينها [1] . وأما (الجذاذ) ، فإنه حجارة فيها ذهب ، أي الحجر الذي يقلع من مناجم الذهب ، ثم يسحن بالمساحن لاستخلاص الذهب من المواد الأخرى . والمسحنة حجر يدق به حجارة الذهب [2] .

والحلي ، ويراد بها ما يزين به من مصوغ المعدنيات أو الحجارة [3] ، هي من أهم أعمال الصائغ عند الجاهليين ، يقوم بصنعها من الذهب أو الفضة ، ويزينها ببعض الحجارة في بعض الأحيان . وقد اشتهر (بنو قينقاع) في منطقة (يثرب) بإجادتهم حرفة الصياغة واتقانهم لها . ومن هذه الحلي ما يعلق على الصدر، ومنها ما يوضع في الأيدي أو في الأصابع ، ومنه ما يوضع حول الساق . وما يعلق في مواضع أخرى من الجسد مثل الأذنين أو الأنف أو على الجبين ، كما ان بعضه مما يحلى به الحيوان أو الأشياء النفيسة في البيت .

ومن الحلي المشهورة عند الجاهليين ، القلادة . وتصنع من الذهب أو الفضـة في الغالب ، وقد تكون من ربط حجارة أو عظام أو خرز بعضهـا الى بعض . وتربط حول العنق ، وتتدلى عـلى الصدر . على أن القلادة في اللغة لفظة عامة تطلق على أمور كثيرة . وقد كان الجاهليون يضعون قلادة في عنق البدن ، مثل عروة مزادة ، أو خلق نعل،أو غير ذلك ، ليعلم أنها هدي . كما كانوا يقلدون الإبل بلحاء شجر الحرم ، ويعتصمون بذلك من أعدائهم [4] .

والأسورة من أدوات الزينة كذلك . وقد استعملها أهل الجاهلية ، تضعهـا المرأة في يديها . ويذكر علماء اللغة أن (السوار) لفظة معربة،عربت من الفارسية وأصلها في الفارسية (ستوار) ، فأخذها العرب وعربوها . واشتقوا منها (سوّرت

---

١ اللسان (٤/٨٨) .
٢ المعاني الكبير (٢/٨٤٨) .
٣ تاج العروس (٦/٢٣) .
٤ **تاج العروس (٢/٤٧٥)** ، جامع الاصول (٥/٤٠٩) .

الجارية) و (جارية مسوّرة)[1]. على أن بعض المحاربين كانوا يستعملون الأسورة، ويتباهون بها في الحروب.

وأما (العصمة)، فقيل إنها القلادة، وقيل إنها شبه السوار، توضع حول اليد. وأما المعصم، فإنه موضع السوار من اليد أو الساعد[2]. وأما القرط، فمن حلي الاذن يعلق بشحمة الاذن[3]، سواء أكان درّة أم ثومة من فضة أم معلاقاً من ذهب[4].

والخلخال من أدوات الزينة التي تستعملها النساء، يوضع على الساق يصاغ من الذهب أو الفضة[5]. وقد يحشى بالقسار، كما تحشى الأسورة أيضاً في بعض الأحيان لتبدو غليظة. ويستعمل القير والقار في طلي السفن، لمنع الماء من الدخول فيها. والعرب تسمى الخضخاض قاراً، وهو قطران وأخلاط تهنأ بها الإبل. وقد ذكر انه صعد يذاب، فيستخرج منه القار[6]. ولا يزال أهل البادية والقرى يتحلون بالخلخال. وللأجراس الصغيرة التي تعلق به رنين خاص ونغمات. وهو من أدوات الزينة المستعملة بين شعوب الشرق الأوسط منذ القديم. وقد أشير اليه في التوراة[7].

وقد نهى الاسلام تبختر النساء بالخلاخل، واثارتهن نغماتها، لما في ذلك من اثارة للرجال وتأثير عليهم[8].

والخاتم من عمل وصنع الصائغ، وهو من حلي الاصبع. ويحلى بالحجارة الكريمة في الغالب، مثل الياقوت والماس والشذر وغير ذلك. ويستعمل الخاتم للختم كذلك أي للطبع بدلاً من التوقيع، وذلك بحفر رمز أو كلمة أو عبارة أو اسم صاحب الخاتم على الخاتم، فإذا أريد كتابة كتاب أو تصديق قرار أو وثيقة ختم به على

---

١ تاج العروس (٣/٢٨٣)، المفردات (ص ٢٤٧)، جامع الاصول (٥/٤٠٨).
٢ تاج العروس (٨/٤٠٠).
٣ **جامع الاصول (٧/٥٢٦)**، المغرب (٢/١١٧).
٤ تاج العروس (٥/٢٠٢).
٥ قال امرؤ القيس:
كأني لم أركب جوادا للذة ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال
تاج العروس (٧/٣٠٩).
٦ المغرب (ص ٢٦٦).
٧ Hastings, Dictl. of the Bible, I, p. 99.
٨ السورة ٢٤ الآية ٣١.

الشيء المراد ختمه ، فيقوم اذ ذاك مقام التوقيع والاعتراف بصحة المذكور ويقال لما يوضع على الطينة وما يختم على اللبنة الخاتم كذلك[1] . ولذلك عدّ الخاتم عند الشعوب القديمة رمزاً للتفويض والتصديق والملك . وختم الملك ، يدل على ارادة الملك ورضائه وأمره . ولذلك قيل : خاتم الملك[2] .

وقد يصنع الخاتم من الشبه أو الصفر أو الحديد ، ويعمل على صور وأشكال متعددة متنوعة . وقد كان خاتم رسول الله من حديد ملوي ، عليه فضة[3] .

وفي المتاحف وعند الناس عدد كبير من الأختام، عثر عليها في مواضع متعددة من جزيرة العرب . وهي تكون عند علماء الآثار دراسة خاصة ، لما كان لها من أهمية عند الشعوب القديمة ولما في بعضها من دقة في الصنعة ومن تفنن وابداع وبعض هذه الأختام مستورد من الخارج وبعضه متأثر بالاختام الأجنبية ، مثل الأختام العراقية أو الأختام اليونانية أو الفارسية .

ويقوم الصائغ بعمل الزينة للرأس ، ومنها التيجان . وقد كان ملوك الحيرة يضعون التيجان على رؤوسهم . وقد ورد في شعر لمالك بن نويرة أن تاج النعمان بن المنذر كان من الزبرجد والياقوت والذهب[4] .

ومن حلي النساء الفتخ والخُرص والسخاب والحلق . وقد حلي بها الأولاد كذلك[5] . وكذلك المسكة من ذهب والسلسلة والأطواق والأجراس والجلاجل ويراد بالفتخ الخواتيم الضخام . يكون في اليد والرجل ، بفص وبغير فص وقيل الخاتم أياً كان ، أو حلقة من فضة[6] . وأما المسكة ، فسوار من ذبل أو عاج ، فإذا كانت من غيرهما أضيفت الى ما هي منه[7] . وتوضع السلسلة في العنق ، وأما الأجراس فتوضع في الأرجل[8] .

---

١ تاج العروس (٨/٢٦٦) ، اللسان (١٢/١٦٣) ، « صادر » .
٢ Smith, Vol. III, p. 1044.
٣ جامع الاصول (٥/٤٠٢) .
٤ لن يذهب اللؤم تاج قد حييت به من الزبرجد والياقوت والذهب
المعرب (ص ٣٥٦) ، تاج العروس (٢/١٢) .
٥ جامع الاصول (٥/٤٠٤ وما بعدها) .
٦ جامع الاصول (٥/٤٠٨) ، تاج العروس (٢/٢٧٠) .
٧ جامع الاصول (٥/٤٩٣) .
٨ جامع الاصول (٥/٤١٠) .

ومن الحلي : (الحُبلة) ، ضرب من الحلي يصاغ على شكل ثمرة (الحبلة) يوضع في القلائد في الجاهلية[1] .

ويقال للنقوش والزينة المزوقة والتصاوير المموهة بالذهب (الزخرف) . وذكر علماء اللغة أن (الزخرف) الذهب ، وهو الأصل ، ثم قيل لكل زينة زخرف، وكذلك كل شيء مُوّه به . وقد ورد في كتب الحديث والأخبار أن الكعبة كانت قد زينت بالزخرف ، أي بنقوش وتصاوير ، وكانت بالذهب . فلما كان يوم الفتح ، لم يدخل الرسول الكعبة ، حتى أمر بالزخرف فنحي ، وبالأصنام فكسرت ، فدخل بعد ذلك الكعبة[2] .

وقد ألف أهل مكة وغيرهم استعمال الآنية المصنوعة من الذهب والفضة ، فاستعملوا الأكواب والأباريق والكؤوس والقوارير والأواني ، وبعضها عليه صور مرسومة أو محفورة . وقد أشير في القرآن الكريم الى هذه الأواني ، وذكرت في كتب الفقه ، وقد ورد النهي عن الشرب بأواني الذهب في الحديث[3] ، وفي ذلك دليل على وجودها واستعمالها عند العرب قبل الاسلام .

وقد ذكر علماء اللغة أن من الأواني المستعملة من الفضة الجام[4] ، وعرفوا الكوب بأنه كوز لا عروة له ، أو هو المستدير الرأس الذي لا خرطوم له . وقد ذكر في شعر عدي بن زيد العبادي[5] ، وفي شعر نفر آخر من الشعراء الجاهليين ممن ألفوا الحضارة . وورد (أكواب) جمع (كوب) في القرآن الكريم ، دليل على استعمال أهل مكة للأكواب .

واللفظة من الألفاظ المعربة عن اليونانية . وتقابل لفظة Cup في الانكليزية . وقد أخذت من هذا الأصل اليوناني .

والكوب ، هو في معنى (كوس) عند العبرانيين ، أي كأس في عربيتنا . وتصنع الكؤوس من المعدن ، كما تعمل من الطين . وعملت كؤوس الملوك وكبار

---

١ اللسان (١١/١٤٠) .
٢ تاج العروس (٦/١٢٦) .
٣ شمس العلوم (١/١٠٣) .
٤ تاج العروس (٨/٢٣٤) .
٥ متكئا تصفق أبوابه يسعى عليه العبد بالكوب
تاج العروس (١/٤٦٤) .

الأغنياء من الذهب والفضة . ولبعضها يد أو علاّقة ليحمل الكأس بها[1] . وقد ذكرت لفظة (كأس) في القرآن الكريم .

واستعمل أهل مكة الأباريق المصنوعة من الذهب والفضة كذلك . وقد ذهب علماء اللغة الى ان لفظة (ابريق) لفظة معربة ، أصلها فارسي هو : (آب رى). وقد وردت لفظة (الأباريق) في القرآن ، كما وردت لفظة (ابريق) في شعر منسوب الى عدي بن زيد العبادي[2] .

وأخذ تجار مكة من الفارسية بعض الألفاظ الحضارية التي لها علاقة بالصياغة ، بحكم اتصالهم بالعراق ، مثل لفظة (زركش) ، وهي من أصل فارسي معناه الراسم والناقش على الذهب[3] .

وصاغ الصياغ خرزاً من الفضة ، جعلوها على أمثال اللؤلؤ ، وعرفت عندهم باسم (الجمان) . وقد وردت لفظة (جمانة) في شعر منسوب للبيد . وذكر الجواليقي أن اللفظة معربة من أصل فارسي ، وانها تكلمت بها العرب قديماً[4] .

ويصنع الصائغ اطارات للمرائي ، جمع المرآة ، وهي ما تراءيت فيه،وما ترى فيه صور الأشياء[5] . وقد يصنع الصائغ المرآة على هيأة سبيكة مصقولة من الفضة اذا نظر اليها بان وجه الانسان.وقد ذكر العلماء نوعاً من المرائي دعوه (السجنجل)، وقد وردت هذه اللفظة في معلقة امرىء القيس،وذكر العلماء أن اللفظة معربة من أصل رومي[6] .

وقام الصائغ بعمل كل ما طلب منه ، فعمل قبيعة السيف من الذهب والفضة وزين السيوف بالذهب والفضة ، بل صنع بعضهم أنوفاً من ذهب لمن أصيبت

---

١ Smith, Vol. I, p. 372.

٢ ودعا بالصبوح يوما فقامت قينة في يمينها ابريق
تاج العروس (٦/٢٨٦) ، وورد « فجاءت » ، المعرب (ص ٢٣) ، شمس العلوم (١/١٤٥) .

٣ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (ص ٣٨١ ، تموز ١٩٦٠) .

٤ المعرب (١١٥) ، تاج العروس (٩/١٦٣) .

٥ تاج العروس (١٠/١٣٩) .

٦ المعرب (ص ١٧٩) :
مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل
تاج العروس (٧/٣٧١) .

أنوفهم . فذكر أن صائغاً صنع أنفاً من ذهب لعرفجة بن سعد، وكان قد أصيب أنفه يوم الطلاب في الجاهلية [1] .

وزينت الدروع والدرق بالذهب كذلك. ووجد الصائغ عملاً مهماً له في المعابد، اذ أمدها بزخارف مموهة بالذهب وضعت على أبوابها وعلى الأماكن المقدسة فيها . كما أمدها بالتماثيل المصنوعة من الابريز وبالقناديل والمصابيح المصنوعة من الذهب والفضة .

ومن أدوات الصاغة المهمة التي يستعملونها في صناعتهم (الحماليج) ، وهي المنافيخ ، وتستخدم في إيقاد النار وفي زيادة لهبها كي تتمكن من صهر المعدن أو جعله ليناً ليحوله الصائغ على الشكل الذي يريده [2] .

ومن الأدوات المصنوعة من الحديد ومن النحاس والبرنز أيضاً (التور) [3] و (الطست) [4] و (الطاجن) [5] ، وهي أوان يوضع فيها الماء في الغالب . وذكر بعض علماء اللغة انها كلها ألفاظ معربة من الفارسية [6] .

وقد عرف التور بأنه إناء من الأواني ، وقيل انه إناء من صفر أو حجارة كالإجانة وقد يتوضأ منه [7] .

ومن الأدوات التي يصنعها النحاسون (القمقم) . ذكر بعض علماء اللغة انه الجرة أو ما يستقى به من نحاس [8] . واللفظة ما تزال حية معروفة في العراق ،

---

١ جامع الاصول (٥/٤١٠ وما بعدها) ، اللسان (٨/٢٥٩) .
٢ المعاني الكبير (٢/٧٦٣) .
٣ المعرب (ص ٨٦) ، (تاج العروس (٣/٧٠) .
٤ المعرب (ص ٨٦) ، تاج العروس (١/٥٦٣) ، المغرب (٢/١٤) ، فرائد اللغة (ص ٢٣٨) .
٥ « الطجن : القلو ، دخيل في العربية ... والمطجن : كمعظم ، المقلو في الطاجن » ، تاج العروس (٩/٢٦٨) .
٦ المعرب (ص ٨٦)
٧ اللسان (٤/٩٦) .
٨ المعرب (ص ٢٦٠) : « والقمقم كهدهد : الجرة عن كراع . وأيضا آنية من نحاس وغيره ، يسخن فيه الماء ، ويكون ضيق الرأس . قال الاصمعي : هو رومي معرب « كمكم » بكافين عجميتين . وقال عنترة :

وكان ربا أو كحيلا معقدا حش القيان به جوانب قمقم

ومنه استعير لإناء صغير من نحاس أو فضة أو صيني يجعل فيها ماء الورد ، تاج العروس (٩/٣٣) .

تطلق على وعاء يوضع فيه ماء الورد ، يسكب منه في المآتم خاصةً .

وقد اشتهرت بعض مواضع اليمن بالمعادن ، وتعرف الأرضين المحتويـــة على خاماتها بـ (مَعْدِن) عند أهل الأخبار . ويذكر بعد هذه اللفظـــة اسم المكان الذي يوجد فيه المعدن ثم نوعه ، فقد ورد مثـــلاً (معدن عشم) و (معدن ضنكان) ، وقد اشتهرا بالذهب . وذكر ان ذهبها من النوع الجيد الجليل . أما (معدن القفاعة) ، ففيه ذهب كذلك ، لكنه دون ذهب المعدنين المذكورين ، وهو خير من ذهب (معدن بني محيد)[1] .

وقد استغل الناس مناجم الذهب والفضة والحديد ، وعثر عند بعضها عـــلى أدوات استخدمت في إذابة المعدن ، لاستخلاصه من المواد الغريبة العالقة به . وقد ذكر (فؤاد حمزة) في كلامه على جبل (تهْلَل) بجوار السودة في عسير ، وبه معدن الحديد[2] ، أنه عثر فيها على آثار عشرات النقر لإذابة المعادن . وقد كانوا يضعون خام الحديد المستخرج من منجمه في هذه النقر ومعه الخشب والأغصان التي توقد لايجاد النار الكافية لإذابة المعدن واستخلاصه من المواد الغريبـــة المختلطة في خامه . فإذا ذاب المعدن وخلص من المواد الغريبة التي كانت ممتزجة به ، عولج معالجة خاصة لتنقيته ولاستخراج فحمه والمواد الأخرى التي تجعله هشاً قابلاً للكسر والثلم بسهولة . وقد يعالج جملة مرّات إن أريد استعماله في أمور تستدعي استعمال حديد نقي صاف في مثل السيوف الجيدة التي يجب صنعها من هذا الحديد .

واستعمل الأتون أيضاً في إذابة المعادن لتنقيتها وإذابتها ولإحالتها الى الشكـــل المطلوب . وتوقد النيران في أسفل الأتون ، لتذيب المعدن وتحيله الى سائل يسيل من فتحة تقع في جانبه ليحوله المعدن الى الشكل الذي يريده . ويخرج الدخان من فتحة تكون في نهاية موقد النار ، وتقوم هذه المدخنة في تهويـــة الموقد في الوقت نفسه . وطريقة إذابة المعادن وتنقيتها هذه ، معروفة عند الرومان واليونان والفرس والعبرانيين . ويطلق العبرانيون على الأتون ، لفظة (أتون) كذلك[3] .

وأشير الى معادن أخرى في اليمن ، منها : الفضة ، وقد وجد في (معدن

---

١ بلوغ الارب (١/٢٠٤) .
٢ في بلاد عسير : (ص ١١٣ وما بعدها) .
٣ Smith, Dict. of the Bible, Vol., I, p. 637.

الرصاص) ، موضع بين (فهم) من همدان ، بين خولان العالية ومراد ، ومعها الرصاص ، وعليه كان اعتماد أهل اليمن . وكان في الموضع قرية تسمى (قرية الرصاص) ، وأهلها من العرنيين . وقد ارتدّوا ، فقتلهم رسول الله[1] . وعرف الرصاص الخالص بالآنك[2] . وقد ذهب بعض الباحثين الى انها من أصل إرمي هو (أنكو) Anko [3] .

ومن المعادن : الجزع ، واليفران ، والعقيق ، وهو في مواضع عديدة من اليمن ، بعضه بعدن أبيض ، وبعضه بأرض وادعة بين صعدة والحجاز ، وفي نجران وبيحان[4] .

والنحاس ، هو (نحشت) في العبرانية . ويعرف بـ (صبرو) Siparu في البابلية . ومن هذه اللفظة (الصفر) ، المستعملة في العراق بمعنى نحاس[5] . وذكر علماء اللغة أن النحاس ضرب من الصفر والآنية شديدة الحُمرة[6] . وذكروا أن الصفر : النحاس الجيد ، وقيل ضرب من النحاس . والصفار صانع الصفر[7].

وقد عرف المشتغلون بالمعادن طريقة خلط المعادن ، فاستعملوها في أغراض شتى . فخلطوا بين الفضة والرصاص أو النحاس في صنع النمي ، وهي الفلوس . وكانت في الحيرة على عهد النعمان بن المنذر[8] . وخلطوا الحديد بمعادن أخرى ، ليتناسب مع طبيعة الأشياء التي يراد صنعها منه . ويكون خلط المعادن بنسب مقدرة معلومة كي تؤدي الغاية المرجوة منه . ومن هذه المعادن : الشبه . وقد ذكر علماء اللغة أنه ضرب من النحاس يلقى عليه دواء فيصفر[9] .

وفي العربية لفظة (فولاذ) ، وتعني معنى Steel في الانكليزية ، أي نوعاً خاصاً من أنواع الحديد وتقابل لفظة (فلدو) (بلدو) في السريانية و (فلداه)

---

١ بلوغ الارب (١/٢٠٤) .
٢ شمس العلوم (١/١٠٢) .
٣ غرائب اللغة (ص ١٧٢) .
٤ بلوغ الارب (١/٢٠٤) .
٥ Ency. Bibli., Vol., I, p. 893.
٦ اللسان (٦/٢٢٧) .
٧ اللسان (٤/٤٦١) .
٨ تاج العروس (٩/٨٥) .
٩ اللسان (١٣/٥٠٥) .

في العبرانية . ويظهر أن الفولاذ كان معروفاً عند الشعوب القديمة قبل الميلاد[1] .

ولم يختلف أهل اليمن القدماء عن أهل اليمن المحدثين في طرقهم البدائيـــة في استخراج المعادن واستخلاصها من خاماتها ، ولا يزال أهـل اليمن يضرمون النار في الحجارة المحتوية على المعدن ، فيسيل المعدن بتأثير الحرارة ، فإذا سال سكب عليه الماء ، فيبرد ، وتتكون قطع منه ، يستعان بها في صنع ما يحتاجون اليه من آلات وأدوات .

ولا يزال كثير من سكان جزيرة العرب يمارسون الصناعات على الطريقة القديمة ، يعتمدون فيها على الأيدي وعلى الآلات البدائية التي ورثوها من الماضي ، فيدبغون الأدم على طريقتهم الموروثة ، ويصنعون سرج الخيل وهوادج الإبل ، والأحذية ، وينسجون الأنسجة من صوف الأغنام أو الماعـز أو الوبر ، للملابس ، ولبيوتهم التي تنتقل بتنقلهم .

والعطارة من الحرف القديمة المعروفة ، وقد ذكرت في التوراة[2] . والعطّار وإن كان اسمه قد جاء من العطر بسبب تعاطيه بيع الطيب والعطور ، يبيـع أيضاً مختلف الأعشاب والعقاقير والأدوية . فهو صيدلي في الواقـــع ، واليه تأتي وصفة الطبيب تعيّن الأعشاب والعقاقير التي يحتاجها المريض . وقد كان العطارون يبيعون في مكة ويثرب وأماكن أخرى أنواع العطور والطيوب ، وفي جملتها المسك. وقد ضرب الرسول المثل (بصاحب المسك) أي العطار ، إذ جعله مثـــال الجليس الصالح[3] للرجل .

ويبيع العطارون عـــدة أشياء تستعمل في الطب وفي الطعام ، مثـــل الزعفران والكركم وهو أصفر ، وذكر أنه (الهُرد) ، وهو عروق يصبغ بها[4] . ومثل (المصطكا) ، وهو علك رومي ، ويدخل في الأدوية أيضاً[5] .

وقد يحمل العطارون آلتهم معهم ، يضعونهـــا في خريطة من أدم ، يطلقون

---

١ Smith, A dicti. of the Bible, Vol., III, p. 1377.
٢ قاموس الكتاب المقدس (٢/٢٢) .
٣ عمدة القارىء (١١/٢٢٠) .
٤ المعرب (ص ٢٩١) .
٥ المعرب (ص ٣٢٠) .

عليها (القفدانة) و (القفدان) . وهي لفظة فارسية معربة ، وتطلق على المكحلة كذلك كما يقول بعض علماء اللغة [1] .

حرف الإعاشة :

وأعني بها الحرف التي تهيء الأكل للإنسان من تقديم أكل وشراب وما يتعلق بهما من أعمال مساعدة في تهيئة ذلك . فيدخل فيها طحن الحبوب والطبخ والخبز والأواني التي يوضع فيها الطعام وما شابه ذلك من أمور .

ولا بد للإنسان من سحق الحبوب وطحنها ليكون في امكانه أكلها والاستفادة منها . لذلك فقد يدقها دقاً بين حجرين أو بآلات صلبة ، ثم يلهم الحبوب المدقوقة لهماً أو يحمصها على النار أو يمزجها بمادة أخرى لتكون طيبة المذاق مستساغة في الطعم . وقد يطحنها طحناً ، أي يحولها الى دقيق بواسطة : الرحى ، وهي حجران من حيث الأساس أحدهما ثابت وهو الأسفل ، والآخر متحرك وهو الحجر الأعلى وهو أصغر قليلاً من الحجر الأسفل ، به فتحة توضع الحبوب بها فتنزل منها الى سطح الحجر الثاني، فتقع بواسطة حركة الحجر الأعلى بين الحجرين وتداس فتسحق ، وبواسطة استمرار الحركة وثقل الحجر الأعلى تتحول الحبوب الى طحين يخرج من بين الحجرين الى الخارج حيث يسقط في حفرة أمامية عملت لتجميع الطحين بها ، وذلك فيما إذا كان الحجر الأسفل مبنياً على قاعدة ، أما اذا كان متحركاً فيسقط الطحين على أطراف الرحى على قماش أو أي شيء يوضع تحت الحجر الثاني ، ثم يجمع الطحين .

وهذا النوع من الرحي هو من النوع المحسّن الذي يمثل تقدماً في صناعة طحن الحبوب . وقد عثر على نوع هو أبسط من الرحى المتقدمة ، فهو عبارة عن حجر مائل نوعاً ما ، أحد طرفيه مرتفع عن الطرف الآخر ، يوضع الحبّ عليه ثم يسحق بحجر اسطواني الشكل في الغالب يمسك بالأيدي من مقبض نحت منه على كل طرف من طرفيه ثم يحرك على الحبوب لسحقها ، وقد يقبض بطرفي الحجر ثم يحرك نحو الأسفل فالأعلى حتى تسحق تلك الحبوب وتتحول الى طحين.

---

١ المعرب (ص ٢٦٣) ، تاج العروس (٢/٤٧٤) .

ولا أستبعد استعمال العرب الجنوبيين للطواحين الكبيرة التي تدار بالماء ، وذلك بالاضافة الى الطواحين التي تديرها الحيوانات ، وذلك لبيع الطحين في الأسواق . وقد كان الناس يستعملون الرحي في الغالب للحصول على الطحين ، فلم يكد يخلو بيت منها ، ولذلك كانت صناعة الرحي من الصناعات النافقة المربحة في ذلك الزمان .

والطحن من الأعمال التي تخصص بها النساء ، وتقوم به الخادمات في البيوت الكبيرة . وقد توضع جملة رحى في البيت الكبير حيث تخبز كميات وافرة من العجين لإعاشة أفراد البيت .

ولمكانة الرحي عند القوم يومئذ ، تخصص أناس باصلاح الحجر لتحويله الى رحى صالحة لطحن الحبوب أو لعمل الزيوت. وليس يصلح كل حجر لأن يكون حجر رحى ، ولهذا فعلى الخبير بالرحى اختيار الحجر الصالح ، ثم عليه اصلاحه ليكتسب الاستدارة وعمل ثقب فيه ونقره وغير ذلك مما يتعلق بهذا العمل . وتكون حجارة الرحى مختلفة في الحجم ، باختلاف العمل الذي يوكل اليها أداؤه . فبعض الرحى كبيرة ثقيلة ذات قطر واسع ، وتستخدم في طحن بعض المواد الصلبة مثل العفص ومواد الدباغة الأخرى والمواد التي تستخدم في إنتاج الزيت والطحين . ويستخدم الحيوان لإدارة مثل هذه الرحى . وقد عثر على حجارة رحى ضخمة استخدمها العرب قبل الإسلام في تلك الأغراض .

وبائع الحنطة يقال له الحنّاط ، يعيش من الإتجار بالحنطة ، وقد يبيع معها الشعير والحبوب الأخرى . وقد ورد ذكر (الحناطين) في كتب الحديث[1] .

والخبز في العادة هو من الأعمال البيتية ، أي من الأعمال التي تتم في البيت ، حيث تقوم الزوجة بخبزه ، ويقوم الرقيق أي الخدم بخبزه في البيوت الكبيرة الغنية. وهو من اختصاص النساء .

وقد احترف بعض الناس الخبازة ، وعرف واحدهم بـ (الخبـاز) ، إذ يصنع الخبز المصنوع من الحنطة أو المصنوع من الشعير أو من الذرة ومن الرز . والخبز على أنواع ، فيه الغليظ وفيه الطري وفيه الناشف ، وفيه ما يضاف اليه

---

١ المعرب (ص ١٤١) ، تاج العروس (٥/١٢١ وما بعدها) .

السكر . وقد ذكر أن من الخبز الغليظ ما يقال له (جرذق) و (جردق) و (الجردقة) ، واللفظة فارسية معربة وأصلها (كرده)[1] .

والخبز المصنوع من الحنطة ، هو أجود أنواع الخبز وأغلاها ، ولذلك يعتبر خبزها خبز الأغنياء وخبز الطبقة المتمكنة . أما خبز الأعراب والفقراء وأهل القرى فهو الخبز المصنوع من الشعير أو من الذرة . ويقتات فلاحو بلاد الشأم واليمن بخبز الذرة ، لوجوده بكثرة عندهم ، ولرخص ثمن الذرة بالنسبة الى القمح . كما يقتات بعضهم بالخبز المصنوع من (الدخن) ، وهو من الحبوب القديمة وقد أشير اليه في التوراة[2] .

ومن أنواع الخبز (المرقق) ، أي الرقاق ، وقد ورد ذكره في كتب الحديث[3]، ويقال له (المرقوق) في بلاد الشأم ، ويعرف بـ (رقيقيم) أي (الرقيق) عند العبرانيين[4] . ولا زال معروفاً مستعملاً . ويكون ناشفاً رقيقاً يمكن حفظه وخزنه مدة طويلة . ولذلك يدخر للشتاء وللأسفار . ويرقق خبز الرقاق بآلة تسمى : المرقاق[5] .

والخبز الجيد هو الخبز المصنوع من الطحين المنقى الصافي من قشرة الحبوب ، وذلك بنخل الطحين في منخل فيسقط لبّ الطحين ويعزل عن القشرة التي تبقى في المنخل ، حيث يستعمل لأغراض أخرى كعلف للحيوان ، أو لتنظيف الأواني وما شابه ذلك من أعمال .

و (الكعك) ، هو نوع من الخبز اليابس . ويحمل في الأسفار أيضاً ، حيث يبقى مدة طويلة محافظاً على طعمه ونكهته . وقد ذكره بعض اللغويين في المعربات[6]. والسميذ ، نوع من أنواع الخبز اليابس كذلك .

وقد يحلى الخبز ، بوضع مادة حلوة فيه ، وقد يعجن بالدهن أو الزيت ،

---

١ المعرب (ص ٩٥ ، ١١٥) ، تاج العروس (٦/٣٠٥) .
٢ حزقيال ، الاصحاح الرابع ، الاية التاسعة ، Hastings, Dict., Vol., I, p. 315 f.
٣ المعرب (ص ١٩٧) ، فتح الباري (٩/٤٦٤) ، اللسان (١٠/١٢٣) .
٤ Hastings, Dict. of the Bible, Vol. I, p. 318, Hastings, a dict. of Christ and the Gosple, Vol., I, p. 231.
٥ تاج العروس (٦/٣٥٩) .
٦ تاج العروس (٧/١٧٤) ، المعرب (ص ٢٩٧) .

وقد توضع فيه بعض المواد لاعطائه نكهة خاصة ، أو يوضع عليه السمسم أو غيره ، كما نفعل اليوم .

ويخبز الخبز عند الحضر وأهل الريف في (التنور) . و(التنور) من الألفاظ الواردة في عدد من اللغات السامية ، فهو (تنورو) Tanuru في الآشورية [١] . و (تنور) في العبرانية [٢] . والتنور العربي هو نفس البابلي القديم نفسه [٣] .

وقد عيّر (حسان بن ثابت) رهط (النجاشي) الشاعر بأنهم لم يكونوا أهل حرب ولا طعان ولا فرسان ، وانما هم قوم لا يعرفون غير الأكل والجلوس حول التنانير ، يأكلون ما يخبز فيها [٤] .

وعاش بعض الناس على بيع الحليب واللبن والزبدة والجبن . أما (اللبن) ، فإنه الحليب المثخن ، أي الحليب الغليظ . غلظ بتسخينه وبإضافة خميرة اليه . وأما الزبدة ، فتستخرج من خض الحليب وتحريكه ، فتتجمع مادة دهنه وتكون الزبدة ؛ وأما الجبن ، فإنه من أكل أهل القرى والمدن في الغالب . أما الأعراب ، فلم يستعملوه بكثرة ، ولا زالوا على هذه العادة . وقد يستعمل بعضهم اللبن المجفف ، فبعد تحويلهم الحليب الى لبن ، يجففون اللبن ، ويستعملونه عند الحاجة . وقد ذكر الجبن في التوراة بـ (جبينه) من أصل (جبن) احد الألفاظ السامية القديمة [٥] .

ويعيش أناس من الجزارة ، فكانوا يبيعون اللحم ويتكسبون بهذه الحرفة ، كما كانوا يقومون بالجزارة للناس في مقابل أجر يتقاضونه ، قد يكون نصيباً يدفع اليهم من الذبيحة ، وقد يكون شيئاً آخر يحصل التراضي عليه [٦] . ولكن العادة أن يقوم الذبّاحون بذبح الذبائح لأهل البيوت مقابل دفع شيء اليهم من الذبيحة أو بعض الأشياء التي يحتاجون اليها ، وقد يقوم بالذبح أصحاب البيوت أو الخدم أو الطبّاخون وذلك في العوائل الكبيرة ، ولهذا فحرفة الجزارة لم تكن من الحرف

---

١ Reallexikon, Bd., I, S. 5 Lieferung, S. 387.

٢ Hastings, A Dictionary of the Bible, p. 315.

٣ Reuther, Innenstadt von Babylon, S. 26, f., 53, 107, 118.

٤ الا طعان ، الا فرسان عادية الا تجشؤكم حول التنانير
ديوان حسان (ص ٢١٥) « البرقوقي » .

٥ Smith,Vol., I, p. 237.

٦ جامع الاصول (٣٩٦/٤) .

الشائعة ، لا سيما وأن سواد الناس لم يكن في امكانهم تناول اللحوم في كل يوم، لغلائه بالنسبة لهم ، بل كانوا يعيشون على الخبز وبعض الادام الرخيص ، ولهذا صار الخبز المادة الأساسية في معيشة الإنسان ، ومن هنا قيل له (العيش) ، وقيل للطعام : (العيش) . كما كان اللبن أساساً لمعيشتهم ، وقد يتأدمون بالتمر مع الخبز[1] .

وأحسن اللحوم عند العرب لحوم الإبل ، لا يفضلون شيئاً عليها ، ومنهم من كان يستطيب أكل الضب[2] . وهم في أكل لحم الجمل على عكس يهود ، الذين يحرمون أكل لحوم الجمل . أما لحوم الغنم والماعز ، فإنها تكون عند أهل القرى والمدن ، حيث يبيعها الجزارون . وقد يأكلون لحوم الخيل . وفي الأدب العربي قصص عن ذبح فرس لضيف قادم ، حين لا يكون لدى المضيف من حيوان سوى الفرس . وقد يأكلون الحمر الوحشية ، والحيوانات الأخرى حيث يصطادونها. أما الدجاج ، فإنه من مآكل أهل القرى والمدن حيث تربى عندهم ويبيعونها في السوق .

وكان مأكولهم في غالب الأزمان لحوم الصيد والسويق والألبان ، وكان الغالب من أهل باديتهم لا يعاف شيئاً من المأكل لقلتها عندهم . وكان الاصطياد ديدناً لهم ، وسيرة فاشية حتى كان ذلك أحد المكاسب التي عليها معاشهم،لاضطرارهم الى النقلة في الغالب وتشاغلهم بالحروب وغزو بعضهم بعضاً،ولضيق ذات يدهم، فكانوا يتغلبون على كل ذلك بالاصطياد ومطاردة الحيوانات بكل طريقة ممكنة لأكل لحومها[3] .

والطباخة من الحرف التي كانت معروفة عند الجاهليين . وقد ورد في كتب اللغة والأخبار وكتب الحديث أسماء بعض الأطعمة التي كان يستعملها أهل الجاهلية وبينها أسماء أطعمة معربة ، اقتبسها العرب من الفارسية والارمية واليونانية . ومن هذه الاطعمة المعربة ، (الخرديق) (الخردق) ، وهو طعام شبيه بالحساء أو

---

١ اللسان (٣٢٢/٦) .

٢ بلوغ الارب (٣٨٠/١) ، وكان الرسول ممن لا يستسيغ أكل العنب ، كتاب التاريخ الكبير ، لابي عبد الله ، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم الجعفي البخاري (المتوفى سنة ٢٥٦هـ) ، (١٧٠/١) ، «طبعة حيدر آباد الدكن سنة ١٣٦٣ هـ » .

٣ بلوغ الارب (٣٨٠/١ وما بعدها) .

(الخزيرة)[1] . وقيل المرقة بالشحم . ذكر العلماء أنها من أصل فارسي ، هو (خورديك)[2] . و (الخشنكان)[3] .

وتقوم المرأة صاحبة البيت بالطبخ ، أما اذا كانت الأسرة غنية موسرة ، فتستخدم طبّاخات للطبخ . وقد يقوم (طباخ) بذلك . وفي الولائم الكبيرة حيث يدعى عدد كبير من الناس ، يصعب على الطبّاخات الطبخ بالقدور الكبيرة ، ولهذا يقوم الرجال بذلك .

وقد استخدم أصحاب المال والثراء طبّاخين أعاجم لطبخ الأطعمة لهم ، وذلك لاتقانهم عمل الطبخ ولتفننهم فيه،ولمعرفتهم بأنواع المآكل الأعجمية التي لا يعرفها العرب . وقد ذكر أن (عبدالله بن جدعان) جاء بطبّاخ فارسي من العراق ليطبخ له مأكولات لا يعرفها أهل مكة وقد أعجبته، ومنها الفالوذج ، وهو من مأكولات الفرس .

وتستعمل القدور في طبخ الأكل . والعادة أن تكون هذه القدور من معدن . مثل نحاس أو حديد . ولكنها قد تصنع من الحجارة المنحوتة أو طين مشوي بالنار، أي قدور من فخار . وتستخدم المقلاة للقلي ، فيقلى فيها أو في القدر ما يراد قليه من لحم أو غير ذلك . وقد يسلق اللحم ، أو الخضر سلقاً، ويعبر عن ذلك في العبرانية بلفظة (سلق) كذلك . أما (المرق) ، فيقال له (مرق) في العبرانية كذلك . وقد يهيأ الطعام بطريقة الشوي على النار ، بأن يشوى اللحم أو السمك علي النار ، ويعبر عن ذلك بالشواء . يعلق اللحم أو السمك بعود أو أعواد أو بعمود من حديد ، ثم يقرب من اللهيب أو الجمر حتى ينضج اللحم أو السمك فيرفع للأكل .

وقيل للقدر (البرمة) بلغة أهل مكة والجمع (بِرام) . وقد وردت لفظة (قدور) في القرآن الكريم : « وجفان كالجوابي وقدور راسيات »[4] والمفرد : قدر . و (القدير) ما يطبخ في القدر . وقيل ما طبخ من اللحم بتوابل ، فإن لم يكن ذا توابل فهو طبيخ . والقدّار : الطبّاخ ، وقيل الجزّار ، وقيل الجَزّار

---

١ المعرب (ص ١٢٨) .
٢ تاج العروس (٣٢٧/٦) .
٣ المعرب (ص ١٣٤) .
٤ اللسان (٨٠/٥) . البيان (١٩/١) .

هو الذي يلي جزر الجزور وطبخها . قال مُهلهل :

إنّا لنضرب بالصوارم هامها ضرب القدار نقيعة القدّام[1]

وعرفت البرمة بقولهم : البرمة : قدر من حجارة والجمع برم وبرام . وهي في الأصل المتخذة من الحجر المعروف بالحجاز واليمن[2] .

ويطلق على الحجارة التي تنصب عليها القدر الأثافي ، واحدتها أثفية ، وعلى المسافة بين أثافي القدر التي يجتمع فيها الجحر (الرّبعة)[3] .

وطعام ابن البادية طعام محدود ، لضيق أرضه وسذاجة حياته . أما الحضر ، ولا سيما أصحاب الحضارة ومن كان منهم على اتصال بالروم والفرس ، فكانت أطعمتهم متعددة متنوعة ، فيها تفنن ومهارة في الطبخ . وقد يبقى الأعرابي مدة لا يذوق فيها طعاماً مطبوخاً باللحم ، لأن اللحم نادر في البادية ، إلا اذا جاء ضيف فنحر له ، أو وقع له صيد. ولهذا أكل بعضهم الضباء والأرانب والحيوانات الأخرى التي تقع أيديهم عليها ، لحاجتهم الى اللحوم ، وأكلوا الجراد . والأغلب شيٌ لحوم الصيد ، لسهولة ذلك .

أما الحضر وسادات القبائل وذوو اليسار ، فكانوا يطبخون وقد وردت اسماء بعض أطعمتهم في الشعر وفي الحديث النبوي ، ومنها الثريد وهو لحم مقطع يغلى في الماء ، وقد يوضع البصل معه أو مادة أخرى ، وبعد نضجه يثرد خبز ويلقى اللحم والمرق عليه ، فيسمى الأكل ثريداً . وقد كان من الأكل الطيب المحبوب . وقد ذكر في كتب الحديث . ويقدم في الولائم وللضيوف . والخبز ممدوح عند العرب ، ولذلك مدح هاشم حين هشم الخبز . والثريد عام في الأشراف ، يقدمونه للناس ، ويرون أكل الخبز ، سبباً في صفاء العقل . ولهذا ذكروا أن كسرى مدحه ، حينما سمع حديث هوذة بن علي الحنفي معه ، فلما رأى رجاحة عقل هوذة وحسن ذكائه ، قال له : « ما غذاؤك ببلدك ؟ قال : الخبز . فقال كسرى : هذا عقل الخبز ، لا عقل اللبن والتمر . ويقال : إن عبدالله بن حبيب العنبري ، كان يعاف التمر ، ولا يرغب في اللبن ، ولا يأكل

---

١ اللسان (٥/٨٠) .
٢ اللسان (١٢/٤٥) .
٣ المخصص (١١/٣٣) .

إلا الخبز ، فقيل في المثل : « أقرى من آكل الخبز » وكان من الأجواد[1] .

وفي كتـــاب الأغاني : أن كسرى قال كلامه المذكور المتقدم الى غيلان بن سلمة ، وهو من ثقيف ، وكان قد جاء مع أبـي سفيان في تجـارة الى العراق . وقد خاف أبو سفيان من الفرس ومن احتمال مصادرتهم أموال تجـارتهم ، فتقدم غيلان ، ودخل مع الداخلين الى بلاط كسرى ، وتحدث معه ، فأعجب كسرى به ، وأخذ يسائله ، حتى سرّ منه ، فاشترى منه تجارته ، وقال له ذلك القول المذكور ، وكساه ، وبعث له معه من الفرس من بنى له أطماً بالطائف ، فكان أول أطم بني بها »[2] .

وفي المآدب الكبيرة يكون (الثريد) ، هو الطعـــام الرئيسي . ويهيأ بسلق قطع اللحم الملقاة في الماء ، وقد يضاف اليه البصل والحمص ، فإذا سلق اللحم ونضج ، وتولد منه مرق ، ألقي مع مرقه على الخبز المثرود في قصع وصحاف، ليأكله المدعوون . والثريد من الأطعمة المحببة الى نفوس أهل مكة والحجـــاز . وقد قـــدم (ابرهة) الثريد الى الجنود والفعلة الذين أتموا سدّ مأرب ، وذلك يوم الاحتفال بانتهاء العمل . وقد يقابل ذلك ما يقال له (سلوق) و (سليقوت) عند العبرانيين[3] . وقد أشير الى الثريد في قصة ذهاب (هاشم بن عبـد مناف) الى بلاد الشأم ، والتقائه بهرقل ، وتثريده لمن معه ولأهل مكة .

ولازدراء العرب من يزرعون البقول والخضر ، أحجم الناس عن زراعتهـا ، فقلّ وجودها في مطابخ أهل الحضر . أما أهل البادية ، فإن مآكلهم تكاد تكون خلواً من الخضر المطبوخة ، لندرة الخضر في البادية ، ولأنهـا تحتاج إلى لحم ، وهو نادر في البادية أيضاً . ثم إن الطبخ المعقد ، لا يناسب الحياة في الصحراء ، لهذا كان المطبخ الجاهلي ،مطبخاً يكاد يكون مستغنياً عن الخضرة المطبوخة باللحوم. لا يستثنى من ذلك إلا السادة المتصلون بالروم وبالفرس وأهل اليمن ، والأغنياء من أهل المدن والقرى ، فقد كان في امكانهم الحصول عليها،ومن هنا استعملوها في الطبخ ، يطبخونها مع اللحم .

---

١ مجمع الامثال (٢/٧٣) ، بلوغ الارب (١/٨٦ وما بعدها) .
٢ الاغاني (١٠٢/٤٦) .
٣ Ency. Bibli., Vol., I, p. 888.

لذا صار عماد الأكل الجاهلي والتمر واللبن والسمن والدقيق المصنوع من البر أو الشعير والشحوم والعسل ، وذلك عند أهل الحضر في الغالب ، والجراد والأقط. واذا دققنا في قائمة المأكولات الجاهلية ، رأينا موادها لا تتعدى هذه الأشياء ، وهي تختلف باختلاف خلط هذه المواد وباختلاف مزجها وطبخها . ولكنها كلها لا تخرج عن حدود الأشياء المذكورة .

ونجد في قائمة مأكولات أهل الجاهلية أكلات تقوم على استعمال الدقيق في الطبخ . من ذلك الحساء : وهو طبيخ يتخذ من دقيق وماء ودهن . وقد يحلّى ويكون رقيقاً يحسى[1] .

وقد يستعمل الدقيق مع الحليب ، بأن يطبخ ، ومن ذلك الحريرة : الحسا من الدسم والدقيق ، وقيل هو الدقيق الذي يطبخ بلبن ؛ وقيل الحريرة من الدقيق والخزيرة من النخال[2] . وقد عرفت قريش باكثارها من أكل أكلة عرفت بـ (سخينة) ، ولاكثار قريش من أكلها عيّرت بها حتى قيل لها (سخينة). والسخينة أكلة ارتفعت عن الحساء وثقلت عن أن تُحسى ، وهي طعام يتخذ من الدقيق دون العصيدة في الرقة وفوق الحساء ، وذكر انها دقيق يُلقى على ماء أو لبن فيطبخ ثم يؤكل بتمر أو يحسى ، وقيل تعمل من دقيق وسمن . وذكر أن الناس يأكلون السخينة في شدة الدهر وغلاء السعر وعجف المال[3] .

ويذكر أهل الأخبار أن أول من لقب قريشاً بـ (سخينة) (خداش بن زهير)، حيث يقول :

يا شدة ما شددنا غير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرمُ

فذهب ذلك على أفواه الناس حتى كان من التمازح به ما كان بين معاوية بن أبي سفيان وبين الأحنف بن قيس التميمي ، حين قال له : ما الشيء الملفّف في البجاد ؟ فقال له : السخينة يا أمير المؤمنين ، أراد معاوية قول الشاعر :

---

١ اللسان (١٤/١٧٧) .
٢ اللسان (٤/١٨٤) .
٣ اللسان (١٣/٢٠٦) .

إذا ما مـــات ميت من تميم فسرّك أن يعيش فجيء بزاد
بخبز ، أو بلحم ، أو بتمر أو الشيء الملفف في البجـــاد

يريد وطب اللبن ، وأراد الأحنف قول خداش بن زهير ، يا شدة ما شددنا.. البيت . وحتى قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، لكعب بن مالك الأنصاري: أترى الله نسي قولك ؟ يعني :

زعمت سخينة أن ستغلب ربها وليغلبنّ مغـــالب الغلاب[1] »

وورد في بعض الروايات أن البيت المتقدم هو من شعر حسّان بن ثابت[2] .

ومن المآكل التي يأكلها أصحاب العيال إذا غلب عليهم الدهر : النفيتة ، وهي الحريقة ، أن يذر الدقيق على ماء أو لبن حليب حتى تنفت ، ويتحسى من نفتها ، وهي أغلظ من السخينة . وقد قيل عنها : حساء بين الغليظة والرقيقة[3] . والحريقة اسم مرادف للنفيتة[4] .

ومن المآكل الحدرقة . وهي دقيق يلقى على ماء أو على لبن فيطبخ ثم يؤكل بتمر أو يحسى وهو الحساء ، فهي مثل السخينة ، والنفيتة والخزيرة والحريرة . وقيل الحريرة أرق منها[5] . و (النجيرة) العصيدة : وهي لبن وطحين يخلطان[6] . ومنها (الصحيرة) ، وهي اللبن يغلى ثم يذر عليه الدقيق. ومنها (العكيسة) ، وهي لبن يصب عليه الإهالة وهي الشحم المذاب . ومنها (الغريقة) ، وهي حلبة تضم الى اللبن والتمر وتقدم إلى المريض والنفساء ، ومنها (الرغيدة) وهي اللبن الحليب يغلى ثم يذر عليه الدقيق حتى يختلط فيلعق[7] .

ومن مآكلهم : (الأصية) ، وهي دقيق يعجن بلبن وتمر ، ومنها (الرهية) ، وهي برّ يطحن بين حجرين ويصب عليه لبن . ومنها (الوليقة) وهو طعـــام

---

١ العمدة (١/٧٦ وما بعدها) ، « القاهرة ١٩٦٣ م » .
٢ العقد الفريد (٦/٢٩٢) ، كتاب التأريخ الكبير ، للبخاري (١/٧٠) ، بلوغ الارب (١/٣٨١ وما بعدها) .
٣ اللسان (٢/١٠٠) ، بلوغ الارب (١/٣٨٣) .
٤ اللسان (١٠/٤٣) .
٥ اللسان (٢/١٠٠) ، (١٠/٤٠) .
٦ اللسان (٥/١٩٤) .
٧ بلوغ الارب (١/٣٨٣) .

يتخذ من دقيق وسمن ولبن ، ومنها (الخزيفة) ، وهي شحمة تذاب ويصب عليها ماء يطرح عليه دقيق فيلبك به ، ومنها (الرغيغة) ، وهي حسو من دقيق وماء وليست في رقة السخينة . و (الربيكة) ، وهي طعام يتخذ من بر وتمر وسمن . ومنها (التلبينة) ، وهي حُثالة تتخذ من دقيق أو نخالة ويجعل فيها عسل . ومنها (الوشيقة) ، وهي أن يُغلى اللحم ثم يرفع . و (العثيمة) ، طعام يطبخ ويجعل فيه جراد وهو (الغشيمة) أيضاً . و (البغيث) و (الغليث) الطعام المخلوط بالشعير[1] .

و (العريقة) ، وهي شيء يعمل من اللبن . و (البكيلة) السمن يخلط بالأقط ، وقيل الدقيق يخلط بالسويق ثم يبل بماء أو بسمن أو بزيت[2] .

ومن مآكلهم (الخزيرة) ، وهي أن ينصب القدر بلحم يقطع صغاراً على ماء كثير ، فإذا نضج ، ذر عليه الدقيق . فإن لم يكن لحم ، فهو عصيدة . وينسب صنعها إلى سويد بن هرمي . ولذلك قال شاعرهم لبني مخزوم :

وعلمتم أكل الخزير وأنتم على عدواء الدهر صم صلاب[3]

وعرفت الخزيرة : انها اللحم الغابُ يؤخذ فيقطع صغاراً في القدر ثم يطبخ بالماء الكثير والملح ، فإذا أميت طبخاً ذرّ عليه الدقيق فعصد به ثم أدم بأي ادام شيء ، ولا تكون الخزيرة إلا وفيها لحم ، فإذا لم يكن فيها لحم فهي عصيدة. وقيل الخزيرة مرقة ، وهي أن تصفى بلالة النخالة ثم تطبخ ، وقيل الخزيرة والخزير الحسا من الدسم والدقيق . وقيل الحسا من الدسم[4] .

وصنع أهل مكة طعاماً ، عدّ عندهم من رقيق العيش ، هو لباب البرّ بصغار المعزى[5] .

وهناك أكلات أخرى بسيطة ، مثل أكل تمر مع لبن ، أو الزبد مع الرطب ،

---

١ بلوغ الارب (١/٣٨٣ وما بعدها) .
٢ بلوغ الارب (١/٣٨٤) .
٣ بلوغ الارب (١/٣٨٤ وما بعدها) .
٤ اللسان (٤/٢٣٧) .
٥ البيان (١/١٨) ، الحيوان (٥/٤٨١) .

أو خلط لبن بلبن آخر ذكر أسماءها علماء اللغة[1] ، لا أرى حاجة إلى ذكرها ، لعدم وجود أهمية لها وعلاقة كبيرة بهذا الموضوع .

وقد استورد الحضر بعض مآكلهم من الخارج ، لاستساغتهم واستحسانهم ، فقد قيل إن عبدالله بن جدعان سيد قريش كان قد زار العراق ، ودخل قصر كسرى وأكل عنده . وكان في جملة ما أكل (الفالوذج) ، فتعجب منه ، وسأل عنه ، فوصف له . ويقال انه ابتاع غلاماً يصنعه ، وأخذه معه إلى مكة ، وصار يأكله وأمر بوضع موائده بالأبطح إلى باب البيت ، ليأكله النـــاس ، وكان ممن أكله أمية بن أبـي الصلت ، فقال فيه شعراً ومدح صاحبه لجوده وكرمه[2] :

الى ردح من الشيزى عليها لُباب البُرّ يُلبكُ بالشهاد

والردح : الجفنة العظيمة ، والشيزى : خشب أسود تتخذ منـــه القصاع ، واللباب : الخالص ، والشهاد : العسل[3] . وقد نسب (البرقوقي) ذلك البيت الى (ابن الزبعرى) ، عبدالله وهو من الشعراء الذين عرفوا بهجائهم للرسول وبدفاعهم عن المشركين[4] .

وكان عبدالله بن جُدعان من أغنى أغنياء قريش ، جمع مالاً عظيماً ، ولكنه كان على خلاف عادة التجار الأغنياء كريماً جواداً متأنقاً ينفق على طعامه وشرابه. كسا بيته بأحسن ما كان في ذلك العهد ، كانت أواني شربه من ذهب ، وفيـه ورد في المثل : أقرى من حاسي الذهب[5] .

ويقال إن ابن جدعان هذا كان في ابتداء أمره صعلوكاً تَرِبَ اليدين ، شريراً فاقطاً ، لا يزال يجني الجنايات ، فيعقل عنه أبوه وقومه ، حتى أبغضته عشيرته ، ونفاه أبوه ، وحلف لا يُؤويه أبداً ، فخرج في شعاب مكة تائهاً حائراً ، فرأى شقاً في جبل ، فدخل فيه ليستريح ، وإذا به يعثر على مقبرة فيها جثث عليهـا

---

١ اللسان (١/٣٨٤) .
٢ مجمع الامثال (٢/٧٣) ، الاغاني (٨/٤) « طبعة ساسي » ، بلوغ الارب (١/٣٨١) .
٣ البيان (١/١٧ وما بعدها) .
٤ البرقوقي (ص ٥٧) .
٥ مجمع الامثال (٢/٧٢) .

ثياب قد بليت ، صارت كالهباء حين لمسها ، ووجد كنزاً حمله معه الى والـده ليسترضيه ، فرضي عنه ، ومن هناك جاء غناه[1] . ويقال إنه كان نخاساً[2] .

وروي انه مذ هذا الحادث صار يطعم الناس ويفعل المعروف، وصنع له جفنة كبيرة جداً يأكل منها القائم والراكب لعظمها ، ووضع له جفاناً في ردحة بيته ليأكل منها من يقصده . وورد ان الرسول ربما كان يحضر طعامه ، وقد رأى جفنته ، واستظل بها لضخامتها[3] .

ولمكانته هذه ولمنزلته في قومه وبين الناس ، آمنت به العرب ، ووثقت به ، فكانت تدفع أسلحتها اليه ، حتى تفرغ من التسوق من سوق عكاظ ومن الحج ، فإذا أرادت الرجوع ، دفع اليها أسلحتها[4] .

وقد عرف السكر عند الجاهليين ، ويقال له : المبرت بلغة حمير[5] . ولا يستبعد صنعه في جزيرة العرب أو استيراده من الهند أو من أماكن أخرى . وقد ذكر (ديوسقوريدس) Dioscurides أن في الهند وفي اليمن مادة تشبه الملح في المنظر، تستخرج من سائل كالعسل[6] ، وفي هذا الوصف ما ينطبق عل السكر .

حرف أخرى :

ومن الحرف الحلاقة والحجامة . ويجمع الحلاّق في الغالب بين حلاقة الشعر والحجامة . ويستعمل الحلاق الموسى والمقص في الحلاقة ، ويتخذ المرآة لإراءة المحلوق شعره وكيفية قصه، وكذلك يتخذ أدوات زينة وطيب لتطييب الشخص، إذ الحلاقة نوع من أنواع الزينة كذلك . وكانت حلاقة الرأس مختلفة ، لا تجري على طريقة واحدة . فللقبائل عادات مختلفة في طريقة حلاقة الشعر وقصه ، كما أن الأعراب يختلفون عن أهل المدن في تنظيم شعر رؤوسهم وحلاقته. وهم يدهنون

---

١ بلوغ الارب (١/٨٧ وما بعدها) .
٢ المعارف (ص ٢٥٠) .
٣ بلوغ الارب (١/٨٨ وما بعدها) .
٤ الاغاني (١٩/٧٦) .
٥ شمس العلوم (١/١٤٦) ، (البرت بالضم السكر الطبرزذ ، باعجام الذال ، وهو لغة اليمن) ، تاج العروس (١/٥٢٥) ، (برت) .
٦ Ency. of Islam, Vol., IV, p. 510.

شعورهم ويتركونها تتـــدلى في الغالب ، وقد يجعلونها ضفائر وجدائل تتدلى على الاكتاف .

واعتماد الحجام على الموسى يشرط به جروحاً خفيفة يمص منها الدم بكأس من الزجاج توضع فوق الشرط ، ثم يسحب الحجام الهواء من الفتحة الضيقـة المتصلة بقناة داخل الكأس ، فيخرج الدم الى داخل الكأس . وقـــد كانت الحجامة من وسائل التداوي في ذلك الزمن . كذلك عدّ (الفصد) ، وهو اخراج الدم من عرق في اليد ، نوعاً من أنواع المداوة . ويقال للقائم به (الفصاد) . وقـــد يقوم بذلك الأطباء . واستعمل نوع من الديدان في امتصاص الدمّ كذلك ، وذلك كنوع من أنواع المعالجات الطبية . ولا تزال هذه الطريقة معروفة عنـــد الأعراب وأهل القرى والمدن . وقد حجم الرسولَ رجلٌ اسمه (أبو طيبة) ، وأعطاه أجره عليه[1] ويستعمل الفصاد المبضع في الفصد[2] .

وعاش بعض الناس على بيع الحطب ، فكانوا يجمعونه من البادية ومن الجبال ويأتون به إلى المدن والقرى مثل مكة ويثرب فيبيعونه . يقوم بذلك (الحطّابة)[3] . وقد نعتت امرأة أبي لهب في القرآن الكريم بـ (حمّالة الحطب) ، وذلك على سبيل الازدراء والتحقير . ويشد الحطب ويربط بحبل ، ويوضع على ظهر الدابة ، وقد يحمله الأشخاص لبيعه . والأغلب أن تبيع النساء العاقول والحطب .

والرتم من الحطب الذي يعطي ناراً شديدة ذات لهب ، يبيعه الحطابون لأهل المدن ، ويقال له (روتيم) في العبرانية . ويتخذ منه فحم ، وذلك باطفاء ناره قبل احتراقه . فيتولد من ذلك الفحم[4] .

ومن أنواع الحطب الأطد ، وهو : (اطد) في العبرانية أيضاً . والعوسج ، والحدق . ويقال له (حدق) في العبرانية كذلك ، والسمر ، وهو (شمير) عند العبرانيين[5] .

وقد كان أكثر من يتعاطى الطبخ والخبازة والجزارة من العبيد . وقد تخصص

---

١ عمدة القاري (١١/٢٢١ وما بعدها) ، تاج العروس (٨/٢٣٧) .
٢ المغرب (ص ٣٩) .
٣ المغرب (ص ١٢٦) .
٤ Hastings, Dict. of the Bible, Vol., I, p. 71.
٥ Smith, Dict., Vol., III, p. 1191.

بعضهم بعمل واحد من الحرفة الواحدة ، مثل بيع نوع واحد من الطبيخ ، فذكر ان رسول الله دعا اليه مرة عبداً ، كان يبيع الخرديق[1] . و (القدّار) هو (الجزار)[2] .

والموقد ، هو الموضع الذي توقد فيه النار ، ويعرف بـ (ميقده) عند العبرانيين[3] . وقد كان عرب بلاد الشأم والعراق يتخذون المواقد للاصطلاء بها في أيام الشتاء ، كما يستعمله الطباخ موضعاً للطبخ ، يضع القدور عليه ويشعل فيه النار .

وقد عاش أناس على كراء الحمير والإبل للمحتاجين الى ذلك ، ويقال لذلك البرطسة[4] . ولمكتريها للناس المبرطس[5] .

وقد احترف بعض الناس حرفة صنع الحصر والسلال والقلل والسرر . صنعوها من الخوص ومن سعف النخيل . لوجودها بكثرة . وصنعها بعضهم من القصب وذلك في الأماكن التي تكثر فيها المياه والرطوبة . ولا تزال هذه الحرف قائمة معروفة.وتصنع بعضها بنسج الخوص أو الألياف كما هو الحال بالنسبة الى (الحصر)، جمع حصير المنسوج الذي يبسط في البيوت . وذكر أن الحصير : سقيفة تصنع من بردي وأسل ثم تفرش[6] .

ويستخدم (السفط) في حفظ الأوراق والأشياء الثمينة . ويصنع من القصب والخيزران ومن الخوص أيضاً ، حيث يصف صفاً .

و (القفة) ، نوع من السلال أيضاً . وتكون مختلفة الحجوم . وتستخدم في أغراض متعددة ، ومنها نقل الطين ، وتعرف عند أهل العراق بـ (قفة طين)، أو لنقل الأحجار. وتصنع من المعدن أو من الأغصان. وأشير اليها بـ « Kophinoi » و « Kophinos » « Cophinus » في الأناجيل ،من اليونانية حيث تسمى بـ« Kophinoi »

---

١ تاج العروس (٣٢٧/٦) .
٢ الفاخر (ص ٩٨) .
٣ Hastings, Dict. of the Bible , Vol., I, p. 72.
٤ شمس العلوم (ح ١ ق ١ ص ١٥٥) .
٥ شمس العلوم (ح ١ ق ١ ص ١٥٥) .
٦ اللسان (١٩٥/٤ وما بعدها) .

« Kophinos » واللاتينية، حيث تسمى بـ « Cophinus »[1] . ولعل بين لفظة (قفة) والتسمية اليونانية اللاتينية صلة. ومن لفظة « Kophinos » ، أخذت لفظة « Coffen » أي تابوت . ويلاحظ أن بين هذه اللفظة ولفظة (كفن) العربية ، صلة كبيرة كذلك[2] .

وذكر علماء اللغة ان القفة : الزّبيل ، ويسمونها القفعة ويجعلون لهـا معاليق يعلقونها بها من آخرة الرحل ، يلقي الراكب فيها زاده وتمره ، وهي مدورة . وعرفت انها شبه زبيـل صغير من خوص يجتنى فيه الرطب وتضع فيهـا النساء الغزل[3] . وعرف الزبيل والزنبيل : بالجراب ، وقيل الوعاء يحمل فيه ، والقفة[4] .

وأما السلة المصنوعة من الخوص ، فيقال لها (العلاقة) في العراق في الوقت الحاضر . وتكون صغيرة ومتوسطة . أما الكبيرة، فيقال لها (الكوشر) و (الزنبيل)، ويستعملها الحمالون في حمل الأشياء للناس .

وتستعمل السلال المصنوعة من الأعواد ومن أغصان الشجر الطريـة في حفظ الأطعمة والمطبوخات ، لدخول الهواء اليها ، ولمنع الطيور والكلاب والقطط من الوصول اليها . وتكون مثل هذه السلال مرتفعة ذات قاعدة أصغر من الوجـه العريض الذي يوضع على العرض .

وقد وردت في التوراة والانجيل وفي الكتب اليونانية واللاتينية وفي الآثار المصرية أسماء سلال صنعت في ذلك العهد. تفيدنا في تكوين فكرة عن السلال عند الجاهليين. وقد صنعت بعض تلك السلال من القصب ومن التبن ومن الخوص ومن الأعواد، وهي مختلفة في الأحجام والسعة . ففي التوراة لفظة هي : (س ل) (سل) ، وهي (السلة) عندنا . والجمع (سلال) . وتصنع في بلاد العرب من الخوص أو من الأغصان الطرية. وتستعمل في نقل الخبز واللحوم والخضر والأشياء الأخرى[5].

---

١ Hastings, Dict., vol., I, p. 256, Hastings, Dict. of the Christ, vol., I, p. 174, Smith, A Dictionary of the Bible, I, p. 171.

٢ The Bible dictionary, vol., I, p. 283.

٣ اللسان (٢٨٧/٩) .

٤ اللسان (٣٠٠/١١ وما بعدها) .

٥ Hastings, Dict., vol., I, p. 255, Smith, Dict., vol., I, p. 171, Ency. Bibl., vol., p. 499.

وهي مثل الكيس أحياناً ، يمكن ضمها بعضها الى بعض وتكون لها يد تحمل بها. وهي في مقابل (الطبق) عند العراقيين . غير ان الطبق ثابت يصنع من أغصان بعض الأشجار مثل الرمان، حيث تكون لينة لا تنكسر . ويكون بأحجام متعددة، منه ما هو صغير الحجم ، ومنه ما هو وسط ومنه ما هو كبير ، يستعمل لنقل الخضر والفواكه من البساتين والحقول الى مواضع البيع . ومنه ما يستعمله القصابون المتجولون لبيع اللحم .

والسرير: المضطجع والذي يجلس عليه [1] . وكانت أكثر الأسرة مصنوعة من الجريد ، وذلك لتوفر الجريد في كل أنحاء جزيرة العرب ، وقلة الخشب فيها .

ولبست العباءة كذلك . تلبس فوق الملابس . وقد ذكر أن رسول الله كان يلبس العباء [2] .

والبيطرة من الحرف المعروفة عند الجاهليين . وقد كانوا يستعملون الأدوية والكيّ في مداواة الحيوان كما يستعملون بعض الآلات في معالجتها ، مثل (المبزغ) وهو مثل مشرط الحجام [3] .

حرف الجلد :

والدباغة حرفة مهمة اشتهرت بها أماكن متعددة من جزيرة العرب ، ولا سيما بعض القرى والمدن مثل الطائف وجرش مواضع متعددة في اليمن وفي العربية الجنوبية . وهي صناعة تقوم على أساس اصلاح الجلد وإبعاد الصوف والشعر عنه، للاستفادة منه في أغراض نافعة . وقد استخدم الدباغون موادّ مساعدة تعين على نتف الصوف والشعر من الجلد بسهولة ، وبدون أذى له أو للجلد ، مثل مادة الجير أو مواد أخرى ، كما استخدموا مواد تساعد على حفظ الجلد ومنعه من التلف لدبغه ، مثل العفص وغيره من مواد نباتية دابغة . وقد أنف كثير من الناس من هذه الصناعة وتجنبوها ، لما ينشأ عنها من روائح كريهة ولاستعمال

---

١ اللسان (٤/٣٦١) .
٢ البيان (١/٢٣٦) ، (٢/٣٠) .
٣ المغرب في ترتيب المعرب : تأليف أبي الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي المطرزي الخوارزمي المتوفى سنة ٦١٦ ، (ص ٣٧) طبعة حيدر آباد ، تاج العروس (٣/٥١)

الدباغين بها مواد تعدّ نجسة في نظر بعض الأديان . كما منعوا إقامة المدابـــغ في الأماكن المأهولة المعمورة ، وحرصوا على عزلها وحصرها في الأماكن البعيدة عن أحياء السكنى ولا سيما سكنى الطبقات المتنفذة الغنية .

ويقوم الدباغون ببيع ما يدبغونه من التجـــار . وقد يحمل إلى أسواق بعيـــدة لاستخدامه في أغراض عديدة ، كتحويله إلى قرب يخزن فيها الماء أو يحمـل أو أوعية تحفظ فيها الخمور والسمن والسويق والطيب ، أو أحذية وسيور وغير ذلك من الحاجات . وقد يحوّله الدباغون أنفسهم إلى هذه الأشياء المذكورة. كما تخصص أناس بحرف تحويل الجلود إلى مواد نافعة يستعملها الانسان في حياته اليومية، كالمواد المتقدمة والدلاء وأمثال ذلك من أدوات .

والقرب في ذلك الوقت مهمة جداً في حياة الانسان . فقد كانت مخازن متحركة يخزن فيها أشياء كثيرة ضرورية . فكانت أوعية لحمل الماء في الحضر وفي السفر، كما كانت الأوعيـــة الرئيسة لحفظ الخمور والأنبذة والزيوت والدهـــون والشحوم والدبس والمواد الغذائية الأخرى. يحتاج اليها الأعرابي في حله وفي ترحاله والحضري في مستقره وفي سفره. كان المصريون واليونان والرومان والعبرانيون يحفظون الخمور والأنبذة في أوعية القرب . وقد أشار الى ذلك بعض الكتبة القدماء . ويعالج اهاب القرب معالجة خاصة ليعطي الشراب نكهة طيبة ، ولئلا يتأثر الشراب من رائحة الجلد [1] .

وذكر علماء اللغة أن (القربة) الوطب من اللبن ، وقد تكون للماء ، وقيـل هي المخروزة من جانب واحد[2] .

وأما (الجِراب) فوعاء من اهاب الشاء لا يُوعى فيها إلا يابس[3] . فهـــو وعاء من الجلد إذن خصص لحفظ الأشياء الجافة كالدقيق وما أشبـه لحفظه . كما يقال لوعاء الزاد ، المزود[4] .

وتدخل المصارين ، وهي أمعاء الحيوانات المذبوحة ، في جملة الأعمـال التي

---

١ Smith, Dict. of the Bible, vol., I, p. 223.
٢ اللسان (٦٦٨/٦) .
٣ اللسان (٢٦١/١) ، تاج العروس (١١٩/١) ، (جرب) .
٤ تاج العروس (٣٦٦/٢) .

يقوم بها الدباغون ، إذ يتعهدونها بالرعاية والعناية والاصلاح ، فينظفونها مما بها من أوساخ ويصلحونها ويعالجونها ، ثم يبيعونها من التجار أو يحوّلونها إلى مواد نافعة مفيدة ، مثل اتخاذها أوتاراً لآلات موسيقية أو للأقواس لرمي السهام ، أي لأغراض حربية . وكلما كانت العناية شديدة بمعالجة هذه الأمعاء ، كانت الأوتار ذات قابلية كبيرة على الشد والتوتر ، وبذلك يكون مجـــال رمي السهام بالأقواس كبيراً ، وفائدة القوس في القتـــال عظيمة . وقـــد كان القوّاسون : أي الرماة بالقوس ، قوة ذات أهمية في مصير حرب ما في ذلك العهد .

وتدخل الجلود في أغراض حربية كذلك . فقـــد استخدمت لحماية الجسم من ضربات السيوف ومن تساقط السهام عليه ، كما استخدمت في صنع الدروع والخوذ الواقية للرأس ، وفي حماية الدبابات والمنجنيقات بتغليفها بجلود ثخينة مقاومة. وتعالج بمواد خاصة تكسبها مقاومة خاصة أمـــام تساقط النار أو المـــاء الحار أو الزيوت الساخنة عليها ، وقد تعمل ستائر منها يحتمي الجنود المشغلون لها تحتها من المواد المقذوفة عليهم . وهناك استعمالات أخرى للجلود أدت للجيوش خدمات كبرى في الحروب . فالقرب ، مادة ضرورية في الحرب ، لأنها أوعية ومخازن للماء ، والماء مادة ضرورية للانتصار في الحروب . والراوية وهي المزادة من ثلاثة جلود ، هي مادة ضرورية في الحرب وفي غير الحرب لما تحمله من ماء[1] . وصنعت الدرق من الجلود ، وهي الحجفة تتخذ من جلود ليس فيها خشب ولها عقب[2]. ويراد بالحجفة التروس من جلود خاصة ، وقيل من جلود الإبل مقورة بلا خشب ولا عقب . وقد كانت معروفة عند الأحباش خاصة[3] . ويراد بالتروس كـــل الأسلحة التي يتوقى المحارب بها . والتراسة صنعة التروس ، وأما الصانع ، فهو التّراس[4] .

وتفرغ أناس لاحتراف أنواع خاصة من أعمال الجلود ، فصرف بعضهم نفسه الى صناعة القرب والدلاء وأدوات السقي ، وتخصص قوم بعمل السروج ونحوها من الأدوات التي تستعمل في الحيوان مثل اللجام و (الرسن)، كما تخصص آخرون

---

١ المغرب (ص ٢٢٥) .

٢ تاج العروس (٦/٣٤٢) .

٣ المصدر المذكور (٦/٦٥) .

٤ تاج العروس (٤/١١٤) .

بصنع الأحذية . وذكر بعض العلماء أن بعض هذه الأدوات المصنوعة مثل (الرسن)[1] هي من الألفاظ المعربة ، وان (الرسن) لفظة فارسية الأصل ، وقد عربت في الجاهلية . وتصنع (القباب) ، من الأدم خاصة[2] . وقد تكون كبيرة ، ولكنها ذات أحجام مختلفة .

ومن الأدوات المصنوعة من الجلد (الجلبان) ، وهي شبه جراب من الأدم، يوضع فيه السيف مغمـــوداً ، ويطرح فيه الراكب سوطه وأداته ، ويعلقه بآخر الرحل وواسطته[3] . والغرز وهو ركاب الرحل الذي تركب به الابل ، ويصنع من الجلد . فإذا كان من خشب أو حديد فهو ركاب[4] . والسقاء وهـــو ظرف الماء اذا كان من جلد[5]،ويكون في الغالب من جلد رقيق[6] . والركوة دلو صغير يشرب فيـــه ، ويصطحب في الأسفار[7] . والكنانة وهي الجعبة التي يكون فيهـــا النشاب[8] ، والقفّاز ويعمل لليدين وقد يحشى بالقطن وتكون له أزرار يزرّ بهـــا على الساعدين من البرد.وقد كان يستعمله النساء[9] . وأما (الأرندج) و (البرندج) فذكر الجواليقي أنها لفظة معربة ، وأن أصلها (رندة) ، وهي كلمة فارسية ، ويراد بها الجلد الأسود المدبوغ بالعفص حتى يسود . وقد وردت لفظة (أرندج) في شعر منسوب الى الأعشى[10] .

وتصنع الهمايين من الجلود أيضاً . وقد اشتهرت همايين عجـــر . واللفظة من الألفاظ المعربة عن الفارسية[11] . ويراد بالهميان الكيس تجعل فيه النفقة ويشد على الوسط .

---

١ المعرب (ص ١٦٤) .
٢ تاج العروس (١/٤١٩) .
٣ جامع الاصول (٤/٣٩٧ ، تاج العروس (١/١٨٧) .
٤ جامع الاصول (٤/٣٧١ ، ٥٠٤) ، تاج العروس (٤/٦٣) .
٥ جامع الاصول (٦/١١٩) .
٦ جامع الاصول (٦/١٢٥) .
٧ جامع الاصول (٦/١١٩) .
٨ جامع الاصول (٩/٣٢٧) .
٩ جامع الاصول (٤/٣٦٥) .
١٠ عليـه ديابـوذ تسربـــل تحته أرندج اسكافـه يخالـط عظلمـا
المعرب للجواليقي (ص ١٦) ، تحقيق أحمد شاكر ، (القاهرة ١٩٤٢) ، تـــاج العروس (٢/٥٠) .
١١ تاج العروس (١/٣٦٨) .

وتحلى الجاهليون بحلي مصنوعة من الجلد أيضاً . ومن هذه الحلي الجمانة : وهي سفينة من أدم ينسج ، وفيها خرز من كل لون ، تتوشحه المرأة[1] .

ويصنع الخوان من الجلد في بعض الأحيان ، ويراد به ما يؤكل عليه الطعام، وهو من الألفاظ المعربة[2] . وأما الصُفن ، فخريطة الراعي ، يكون فيها طعامه وزاده وما يحتاج اليه . وقيل : هو مثل الركوة[3] .

و (العياب) ، هي أوعية من الأدم ، ويقال للواحد منها (عيبة) ، يوضع فيها المتاع والثياب ، وتطلق أيضاً على الزبيل ، الذي ينقل فيه الزرع المحصود إلى الجرين[4] . و (الشن) الوعاء المعمول من أدم ، فإذا يبس فهو شن . وفي المثل : « وافق شن طبقه » . يضرب لكل اثنين أو أمرين جمعتهما حالة واحدة اتصف بها كل منهما ، وهناك قصص عن أصل هذا المثل[5] .

واستعمل النصارى واليهود (الزنار) ، يشدونه في وسطهم على القميص أو الثوب أو المسوح الذي يلبسونه ، ويتدلى أحد طرفيه الى قريب من القدمين . ويصنع من الجلد أو الحرير أو القطن أو الوبر أو شعر الماعز . وقد يشد على الوسط عدة مرات . وقد يوضع فيه محل لحفظ منديل فيه ، أو محبرة وحبر اذا كان صاحبه من الرهبان أو الكتاب ، وقد يوضع خنجر أو سلاح حاد فيه . وهو يشبه في فائدته الحزام في الوقت الحاضر . واذا اشتغل الفلاح أو الأعرابي أو غيرهما بعمل ما رفع الطرف الأسفل من قميصه الى الزنار أو الحزام ، ليسهل عليه العمل ، وقد يضع في عُبّه أي القسم الواقع فوق الزناد من جهة الصدر أشياء عديدة يحملها معه مثل خبزه وطعامه أو نقوده أو أشياء أخرى يحتاج اليها في ترحاله[6] .

وقد كان الجاهليون يستفيدون من جلود السمك أيضاً ، يصنعون منها أشياء متعددة . فالسفن مثلاً وهو جلد الأطوم ، وهي سمكة في البحر ذات جلد خشن

---

١ تاج العروس (٩/١٦٣) .
٢ تاج العروس (٩/١٩٤) .
٣ المغرب (ص ٣٠٤) .
٤ البرقوقي (ص ٥٨) .
٥ اللسان (١٠/٢١٤) .
٦ Hastings, Dict., of the christ, vol., I, p. 498.

يستخرج منه السياط والسهام ، ويكون على قوائم السيوف[1] .

واستخدم الجاهليون كذلك فراء مختلف الحيوانات في الأيام الباردة، ومن أنواع الفراء نوع يدعى (سبنجونة) ، وهي من جلود الثعالب ، وهي من الألفاظ المعربة[2] ، ونوع آخر يدعى (الفنك) ، وقد ذكر بعض علماء اللغة أن الفنك دابة يفترى جلدها ، وذكر أيضاً ان الفنك جلد يلبس[3] .

ومن أنواع الفراء (المساتق) وواحدتها (المُستُقة) . وقد ورد ذكرها في كتب الحديث ، حيث قيل إن الرسول كان يلبس (مستقة) ، كما ذكر أن عمر كان يصلي وعليه (مستقة) . وذكر الجواليقي انها لفظة معربة عن الفارسية ، وانها (مشته) بالفارسية . وقيل : انها فراء طوال الأكمام[4] ، وذكر انها جبة واسعة[5] .

ويقوم صانع الأحذيـــة بصنع الأحذية ، مثل النعال والخف (والفشش) أو (الكفش) ويراد به الخف أو الخف القصير ، واللفظة من الألفاظ المعربـــة عن الفارسية[6] . ومن أنواع النعال ، النعالُ السبتية التي لا شعر لهـــا ، وتصنع من جلود البقر المدبوغة بالقرظ[7] . و (السبت) كل جلد مدبوغ أو المدبوغ بالقرظ، ومنه تصنع النعال السبتية[8] .

ويقال للخف (الموزج) أيضاً ، وقد ذكر الاسم في كتـب الحديث وكذلك (الموق) . وذكر أن (المـــوق الخف الغليظ يلبس فوق الخف) . وقد ذكر الجواليقي أن أصل الموزج فـــارسي هو (موزه) (موزجان) وأدخـــل الموق أيضاً في باب المعربات[9] . والجمع (أمواق) ، ويظهر من بيت شعر لـ (النمر بن

---

١ المغرب (ص ٢٥٥) ، تاج العروس (١٨٧/٨) .
٢ المعرب (ص ١٨٨) .
٣ المعرب (ص ٢٤٨) ، تاج العروس (١٧٠/٧) .
٤ المعرب (ص ٣٠٨) .
٥ تاج العروس (٧٠/٩) .
٦ المعرب (ص ٢٦٨) .
٧ جامع الاصول (٣٩٨/٤) .
٨ قال عنترة :
بطل كـأن ثيابـــه في سرحـة يحذى نعـال السبت ليس بتوأم
تاج العروس (٥٤٨/١) .
٩ المعرب (ص ٣١١) .

ثولب) ، أن العباديين ، وهم نصارى الحيرة كانوا يمشون بالأسواق[1] . وهناك نوع آخر من أنواع الخفاف ، يقال لها (القسوبية) و (القساب)[2] ، و (النعل) هو لباس الرجل المستعمل عند الجاهليين وعند الساميين . وهو (نعلِم) أي (نعل) في العبرانية . ولا يزال النعل مستعملاً حتى اليوم . يستعمل في البيت وفي خارجه ، وهو يحمي باطن القدمين من حر الأرض في الصيف ومن الحجارة والمواد المؤذية التي تكون على وجه الأرض . وقد يستعمل نعلاً من خشب، يستعمله أهل القرى وأهل المدن في البيوت . والعرب تمدح برقة النعال وتجعلها من لباس الملوك ، وتقدم النعال على سائر أنواع الأحذية[3] .

ومن أنواع النعال : (النعال السبتية) . وهي المصنوعة من الجلد المدبوغ بالقرظ . وخص بعضهم جلود البقر ، مدبوغة كانت أم غير مدبوغة . وقيل نعال سبتية : لا شعر عليها . وذكر انها نعال أهل النعمة والسعة[4] .

وعرفت (حضرموت) بنعالها ، فقيل (نعل حضرمي) و (الحضرمي) . وعرفت بأنها النعال المخصرة التي تضيق من جانبيها ، كأنها ناقصة الخصرين[5] .

وقد تفنن في تزيين وزخرفة الجلود . فذهّبوها ورسموا عليها صوراً، وضغطوا عليها بآلات لابراز بعض الصور عليها . ومن الجلود المذهبة : (المذاهب) ، وهي جلود كانت تذهب ، تجعل فيها خطوط مذهبة ، فيرى بعضها في أثر بعض ، فكأنها متتابعة . وقيل سيور تموّه بالذهب[6] .

والجلود التي يستعملها الاسكافي هي: جلود البقر والجمال والغنم والماعز وقد تستعمل جلود الثعابين والسمك إذا كانت كبيرة سميكة ، وذلك بعد إصلاحها ودبغها .

ويستعمل الإسكافي والنحّات الإزميل . وقد ذكر علماء اللغة ان الازميل حديدة تجعل في طرف رمح الصيد لصيد البقر : بقر الوحش . والمطرقة[7] . وهي من الألفاظ المعربة وأصلها (زميلي) « Zmili » في اليونانية[8] .

---

١ فترى النعاج به تمشي خلفة مشى العباديين في الاسواق
المعرب ، للجواليقي (ص ٣١١) .
٢ البرقوقي (ص ١٤٦) .
٣ اللسان (١١/٦٦٧) .
٤ اللسان (٢/٣٦ وما بعدها) ، الروض الانف (١/ ٧١) .
٥ اللسان (٤/٢٠٢) ، الروض الانف (١/ ٧١) .
٦ اللسان (١/٣٩٥) .
٧ تاج العروس (٧/٣٦٠) .
٨ غرائب اللغة (ص ٢٥٢) .

الحياكة والنسيج والثياب :

والحياكة والنسيج ، من الحرف التي لا ينظر الى صاحبها نظرة احترام وتقدير في المجتمع العربي القديم ، ويقوم بالغزل النساء في الغالب . والحياكة والنسج في الحضر في الغالب . وقد ذكر أهل اللغة أسماء بعض آلات الحياكة والنسج ، مثل (الحف) وهي الآلة التي تلمظ بها اللحمة أي تلقم وتصفق ليلتقمها السدى . وقيل : الحفة المنوال ، وهو الخشبة التي يلف عليها الحائك الثوب ، وقيل : الحف المنسج[1] . و (الوشيعة) وهي المنسج ، وهي قصبة في طرفها قرن يدخل الغزل في جوفها ، وتسمى السهم . وقيل لفيقة من غزل ، وتسمى القصبة التي يجعل النساج فيها لحمة الثوب للنسج[2] . و (المشيعة) ما يلف عليه الغزل[3] . و (الثناية) التي يثنى عليها الثوب . و (العدل) خشبة لها أسنان ، مثل أسنان المنشار ، يقسم بها السدى ليعتدل . و (الصيصية) عود من طرفاء ، كلما رمي بالسهم فألحمه ، أقبل بالصيصة فأدبر بها ، وقيل : إنها شوكة الحائك التي يسوّي بها السداة واللحمة[4] . و (النير) لحمة الثوب ، وقيل : الخشبة المعترضة التي فيها الغزل . وقد تنسج الثياب على نيرين ، ويكون بذلك أصفق وأبقى[5] . و (الصنار) رأس المغزل[6] . وأما (المداد) فالعصا في طرفها صنارتان يمدد

---

١ تاج العروس (٦/٧٢) ، المعاني الكبير (١/٥٠) .

٢ تاج العروس (٥/٥٤٣) .

٣ بلوغ الارب (٣/٤٠٤) .

٤ « والصيصة كذا في سائر النسخ ، وهو خطأ ، أو هو على التخفيف . وفي الصحاح والعباب : والصيصية ـ شوكة الحائك التي يسوى بها السدى واللحمة ، وأنشد لدريد بن الصمة :

فجئت اليه والرماح تنوشه كوقع الصياصي في النسيج الممد

قال ابن بري : حق صيصية الحائك أن تذكر في المعتل ، لان لامها ياء ، وليس لامها صادا » تاج العروس (٤/٤٠٥) .

٥ تاج العروس (٣/٥٩٣) .

٦ « قال أبو حنيفة : وهي فارسية معرب جنار ، وقد جرت في كلام العرب . وقال الليث : هو فارسي دخيل . والصنار : رأس المغزل ، ويقال : هي الحديدة الدقيقة المعقفة التي في رأس المغزل ، ولا تقل صنارة . وقال الليث : الصنارة مغزل المرأة ، وهو دخيل » تاج العروس (٣/٣٤١) .

بهما الثوب[1] . و (الكُفة) الخشبة المعترضة في أسفل السدي[2] . و (الحماران) يوضعان تحتها ليرفع السدي من الأرض . و (المثلث) قصبات ثلاث . و(المبرم) و (البريم) ، الحبل الذي جمع بين مفتولين ففتلا حبلاً واحداً . و (المبرم) من الثياب المفتول الغزل طاقين ، ولذلك اطلقت اللفظة على نوع خاص من الثياب. و (الدعائم) خشبات تنصب ويمدّ عليها السدي . و (الشفشقة) قصبة تشق وتوضع في السدي عرضاً ، ليتمكن به من السقي . و (الكحتمة) ما يلحم به، وأداة الحائك المنصوبة تسمى (المنوال) ، وهو (النول) أيضاً[3] .

وأما المادة التي يغزل منها ويحاك وينسج ، فهي الصوف بأنواعه ، وشعر الماعز والوبر والقطن والشاش والبز والكتان والحرير . وأما التي يغزل بها ، فهي (المغزل)[4] ومنه نوع بسيط يحمل باليد . وهو قديم جداً معروف في العصور المتقدمة قبل الاسلام ، ولا يزال معروفاً ومستعملاً في الزمن الحاضر ، ومنه ما هو سريع بعض السرعة . وهو على هيأة دولاب يدار بالأرض ، فيكون سريعاً بالغزل بعض السرعة بالنسبة الى اليد ، ويكون مجال الغزل فيه أوسع من مجال الغزل بالمغزل اليدوي البسيط .

ويلف الغزل على آلة تسمى (الهراوة) ، وذلك تمهيداً لتقديمها الى (النساج) لنسجها[5] .

ويقال للمغزل : « المُردن) أيضاً . وقيل : (المردن) المغزل الذي يغزل به الردن . والردن الغزل . وقيل : الغزل يفتل الى قدّام ، وقيل هو الغزل المنكوس ، وثوب مردون : منسوج بالغزل المردون[6] .

والغزل هو من أعمال النساء في الغالب ، فهي تمسك المغزل وتغزل به . وقد يقوم الرجال بالغزل أيضاً . وهناك أنواع من المغازل وهي متشابهة من حيث

---

١ « والامدة كالاسنة جمع مداد كسنان ، وضبطه الصاغاني بكسر الصخرة .. سدى الغزل . وهي أيضا المساك في جانبي الثوب اذا ابتدىء بعمله » تاج العروس (٢/٤٩٨) .

٢ بلوغ الارب (٣/٤٠٤ وما بعدها) .

٣ بلوغ الارب (٣/٤٠٤ وما بعدها) .

٤ تاج العروس (٨/٤٢) .

٥ المعاني الكبير (١/٥٠) .

٦ اللسان (١٣/١٧٨) .

الأساس والتصميم . وقد عثر على أنواع منها في مواضع من جزيرة العرب .

وفي التوراة وصف لكيفية إعداد الصوف وشعر الماعز للغزل . فقد كان على الغزّال تنظيف الصوف والمادة المراد غزلها قبل غزلها ، وذلك بنثر المادة وتنظيفها من المواد الغريبة المختلطة بها . وقد تضرب بعصا أو بآلة خاصة ، على نحو ما يفعله (النداف) في الوقت الحاضر ، لتلطيف المادة المراد غزلها وجعلها سهلة للغزل. وقد تغسل بالماء ثم تنشف ثم تنظف . فإذا وجد ان المادة المراد غزلها صارت نقية صالحة للغزل ، غزلت . وقد عثر على صور لعمال كانوا يقومون بغسل المواد قبل غزلها على نهر النيل ، وقد صورت على جدران مقابر قدماء المصريين[1] .

وأهل الجاهلية مثل من تقدم أيضاً في تنظيف الصوف وشعر الماعز والوبر والكتان وسائر المواد الأخرى المراد غزلها ، كانوا ينظفونها ويمشطونها بأمشاط خاصة ، لاخراج ما قد يعلق بها فيها من مواد غريبة ، ويعالجونها معالجة خاصة . فإذا نظفت وخلصت من الشوائب ، غزلت . وقد كانوا يدقون الكتّان لتهترىء أليافه وتتشقق فتنفصل ، ثم يمشط بالممشقة ، حتى يخلص وتبقى فتاته وقشوره ، ويؤخذ الكتان لغزله ونسجه . أما الفتات والقشور ، فهي المشاقة ، وتستعمل في حشو الخفتان وللقبس[2] .

ويقال لمشاقة الكتان وللخشن من ليف الكتان والقنب (أسطبة)[3] . ويظهر أنها من أصل يوناني هو « Stippi »[4] .

ويهيأ الفتال (السلك) ، وهو الخيط . وقد يكون من حرير أو قطن أو كتّان . وإذا وضع في الخيط الخرز واللؤلؤ ، فيقال لذلك عندئذ (السمط)[5] .

ومن اللوازم المستعملة في البيوت وفي الحياة اليومية والتجارية ، الحبال ، يستعملونها من لحاء الشجر في بعض الأحيان ، يؤخذ فيدق ويفتل منه حبل ، ويقال لذلك

---

١ Hastings, p. 873.

٢ المغرب (١٨٦/٢) ، « والمشاقة (كتمامة) : ما سقط من الشعر أو الابريسم والكتان والقطن عند المشط ، أي تخليصه وتسريحه ، وهي المشاطة أيضا » . تاج العروس (٧٠/٧) .

٣ تاج العروس (٢٩٨/١) .

٤ غرائب اللغة (ص ٢٥٢) .

٥ المغرب (ص ٢٦٤) ، « والسلكة (بالكسر) : الخيط الذي يخاط به الثوب ، ج سلك بحذف الهاء ، جمع الجمع : أسلاك وسلوك . » تاج العروس (١٤٤/٧) .

(القَرَن)[1] ، أو من شعر الماعـــز أو من الأصواف ، أو من مختلف الألياف المستخرجة من النبات ، أو من الخوص .

أما الخيوط ، فإنها أدق من الحبل ، وتصنع من الكتان أو القطن أو الصوف أو الحرير ، ويخيط بها . وأما (الاطنب) و (الطنب) ، فإنها حبال الخيمة ، تستخدم لربط الخيمة . وأما (الوتر) ، فيصنع من أمعاء الحيوانات ، وتوضع في الأقواس ، لرمي السهم ، وتستخدم في الآلات الموسيقية كذلك . وتستخـــدم الحبال رُبُطاً ، يربط بها . يربط بها الأسرى والمساجين والحيوانات[2] .

والصوف مادة مهمة في صنع البسط والسجاجيد . وأكثر صوف جزيرة العرب من النوع الخشن ، الذي يصلح لصنع السجاد . وتصنع منه الخيام كذلك . والمستعمل في صنع الخيام هو من شعر الماعز في الغالب . أما أصواف الأغنام ، فتستعمل في الغزول والأنسجة اللطيفة التي تحتاج إلى صوف ناعم ودقيق . ولا يزال أهل البادية يصنعون خيامهم الشهيرة ذات اللون الأسود من شعر الماعز[3] . وقد كان عمـــاد العبرانيين في نسجهم على الصوف وشعر الماعز والكتان[4] . وقد عرف البساط الضخم المنسوج من الوبر أو الصوف بـ (الاراخ)[5] ، ويقال للفسطاط (البلق)[6] .

وقد اشتهرت اليمن بالغزل والنسيج ، وعرفت بإنتاج بعض البرد التي اختصت بها حتى عرفت بـ (البرد اليمانية) . وهي من الأنواع الغالية الثمينة التي لا يشتريها في العادة إلا المترفون والمرفهون . وقد جعل النبي في جملة ما يدفعه أهل الجزية الثياب عوضاً عن النقد إن لم يكن في قدرة من فرضت عليه الجزية دفعها نقداً[7] ، كما عرفت بصنع (الحلل) الغالية ، اشتهرت بجميـــع أنواع الغزل والنسيج ، غزل القطن والصوف والحرير ، وبأنسجة الصوف والقطن والحرير . وقـــد كان من عادة رؤساء اليمن لبس الملابس الثمينة والحلل الغالية المصنوعة في بلادهم ،

---

١ المخصص (١١/١٥) ، تاج العروس (٩/٣٠٥) .
٢ Hastings, Dicti. of the Bible, I, p. 479, Smith, Vol., I, p. 352.
٣ تويتشل (ص ٣٣) .
٤ Hastings, p. 873.
٥ شمس العلوم (١/٧١) .
٦ شمس العلوم (١/١٨٥) .
٧ « وعلى كل حالم : ذكر أو أنثى ، حر أو عبد ، دينار واف أو عوضه ثيابا » ، « اسلام بني الحارث بن كعب على يدي خالد بن الوليد » ، ابن هشام (٤/٢٤٢) « القاهـرة ١٩٢٦ » ، الطبري (٣/١٥٨) .

كما كانوا يصدرونها الى الخارج لبيعها في مختلف أسواق بلاد العرب وفي العراق وبلاد الشأم .

وعرفت دور النسيج في اللهجات العربية الجنوبية بـ (تعمت) . وقد ورد في كتب اللغة: « عمت الصوف والوبر ... لف بعضه على بعض مستطيلاً ومستديراً حلقة فغزله » . وورد : « يعمت الغزل »[1] .

وقد ازدهرت صناعة غزل القطن ونسجه في اليمن وفي بقية العربية الجنوبية في القرن السادس للميلاد[2] ، فصارت صناعة الغزل والنسيج من أهم الموارد التي يتعيش عليها عدد كبير من الشعب والتي تكون مورداً كبيراً من موارد الدولة . وقد كان للملوك مغازل ودور نسيج تعمل لحسابهم ولهم . وقد عرفت دور النسيج الملكية بـ (تعمت ملكن)[3] ، أي (المنسج الملكي) و (دار النسيج الملكية).

وهناك لفظة أخرى في المسند للموضع الذي ينسج فيه وتغزل فيه الغزول ، هي لفظة : (ح ل ل ت) (حللت) . ويرى (رودوكناكس) انها (حلالة) . وأما النساج ، فيقال له (انم) في المسند[4] ، وهو للمفرد والجمع[5] . وعندي ان المراد بـ (ح ل ل ت) (حللت) ، الحلة . والحلة عند علماء اللغة إزار ورداء ، بُردٌ أو غيره . وقيل : الحلل الوشي والخبر والخز ، وقيل : كل ثوب جيد جديد تلبسه غليظ أو رقيق ، وقيل : كل ثوب له بطانة ، وعند الأعراب من ثلاثة أثواب القميص والإزار والرداء[6] . فيراد بها الموضع الذي تعمل فيه الحلل .

---

١ « عمت يعمت عمتا من حد ضرب كما هو مقتضى قاعدته . لف الصوف بعضه على بعض مستطيلا ومستديرا حلقة ، ليجعل في اليد فيغزل بالمدرة .. والعميتة من الوبر كالغليلة من الشعر . ويقال عميتة من وبر أو صوف كما يقال سبيخة من قطن وسليلة من شعر .. عمت الوبر والصوف لفه حلقة فغزله كما يفعله الغزال الذي يغزل الصوفَ ، فيلقيه في يده .. والاسم العميت ... يعمت يغزل من العميتة ، وهي القطعة من الصوف ... عمت فلان الصوف يعمته عمتا اذا جمعه بعدما يطرقه ، وينفشه ، ثم يعمته ليلويه على يده ويغزله بالمدرة ... » تاج العروس (١/٥٦٤ وما بعدها) .

٢ Von Kremer, Kulturgeschichte, II, S. 326.

٣ الفقرة الرابعة من النص الموسوم بـ : Glaser 1150, Halevy 192, 199.

٤ Rhodokanakis, Altsab. Texte, I, S. 74.

٥ Rhodokanakis, Altsab. Texte, I, S. 27.

٦ تاج العروس (٧/٢٨٣ وما بعدها) ، شمس العلوم (١/٧٦) .

وقد كانت بعض الحكومات تحتكر صناعة بعض أنواع النسيج ، وذلك بصنع أنواع فاخرة منه لاستعمال الملوك ، أو للانعام بـــه على الأمراء والكبراء ورجال الدين كالذي كان في مصر . ويوسم بسمة المعمـل وبشعار الحكومة أو الحاكم ، ليكون في علم الناس انه من صنع الحكومة . وقـــد تبيعه الحكومة للناس . وتعد هذه الأنواع من النسيج من أفخر ما تنتجه المناسج ، ويعرض في السوق .

وقد كان الملوك والكهنة والأغنياء المتأنقون بملابسهم ، يرتدون أنسجة دقيقـــة مصنوعة صنعاً خاصاً بأيد ماهرة متقنة لعملها،لا تصنع الا الأنسجة الثمينة الغالية . ومن هذه الأقمشة ما كان يصنع من الكتان الخالص أو الصوف النـــاعم الرقيق ، ومنه ما كان يصنع من الحرير الخالص أو المخلوط بمـــادة أخرى . وقد يقصب القماش بالذهب ، يوشى بـــه ، كألبسة الملوك ورجال الدين الكبار الذين كانوا يرتدون ملابس موشاة ومطرقة في أثناء أدائهم الصلوات واقامة الشعائر الدينيـة . وقد كان الملوك والكهـــان يستوردون الأقمشة الجيدة من أماكن أخـرى اشتهرت باتقانها واجادتها صنع الأقمشة الجيدة ، مثل بابل وبلاد الشأم والهند ومصر وفارس وغيرها لمثل هذه الأغراض[1] .

وقد اشتهرت منسوجات اليمـن في كـــل مكان من جزيرة العرب ، بجودتها وأناقتها ، وظلت محافظة على سمعتها هذه الى الاسلام، فكان أغنياء الحجاز وغيرها من جزيرة العرب يفتخرون بحصولهم عليها ويلبسونها خاصة في أعيادهم ومواسمهم. وكانت البرد المعروفة بـ (الحبر) ، وهـي برد موشاة مخططة ، تعد من أثمن البرد اليمانية في القرن السادس والسابع الميلاديين ، ولما قدم وفد نجران على الرسول كانوا يتوشحون بها . ولما توفي الرسول ، ووضع مسجى في ناحية من البيت ، وضعت عليه الحبرة[2] .

ويقال للثوب الجديد الناعم (الحبير) . وذكر أيضاً ان الحبير البرد الموشى المخطط ، وأن الحبرة ضرب من برود اليمن منمر ، وبائعها حبرى لا حبار[3] . وتعد (ثياب الحبرة) من الثياب الغالية الجيدة التي يلبسها الأغنيـاء والسادات ،

---

١ Hastings, p. 874.

٢ المغرب (ص ١٠٤) ، جامع الاصول (٤٧٨/٧) ، تاج العروس (١١٨/٣) ، (حبر) شمس العلوم (١٤٤/١) ، الطبقات ، لابن سعد (٣٥٧/١) .

٣ تاج العروس (١٨٨/٣) ، (حبر) ، الطبقات لابن سعد (٣٥٧/١) .

فلما قدم وفد نجران على النبي بالمدينة « فدخلوا المسجد عليهم ثياب الحبرة ، وأردية مكفوفة بالحرير »[1] .

واشتهرت اليمن بـ (المراجل) ، وهي ضرب من البرود[2] . وذكر بعض علماء اللغة أن البرد المُرجل، فيه صور كصور الرجال . وورد ثوب مرجل بمعنى معلم[3] ، وبرد مرحل أي برد فيه تصاوير رحل على تفسير بعض علماء اللغة . وورد المرحلات يعني المرط المرحلة ، وهي الموشاة ، وقد أشير اليها في كتب الحديث[4] . و (القيصران) وهو ضرب من الثياب الموشاة[5] . والعصب ضرب آخر من البرود اليمانية يعصب غزله ثم يصبغ ثم يحاك وينسج ، فيأتي موشى لبقاء ما عصب فيه أبيض لم يأخذه صبغ . وقيل : هي برود مخططة[6] . ويقال ثوب مبرج إذا كان ثوباً ذا تصاوير[7] .

وقد عرفت (البُرد) ، أنها أكسية يلتحف بها ، وقيل إذا جعل الصوف شقة وله هدب . وقيل : البرد من برود العصب والوشي ، وأما البردة ، فكساء مربع أسود فيه صغر تلبسه الأعراب ، وأن البرد ثوب فيه خطوط وخص بعضهم به الوشي[8] .

واشتهر بلد المعافر بنوع من البرد والثياب ، حتى قيل له : برد معافري وثوب معافري[9] . وأما (الشرعبية) فضرب من البرود[10] . وذكر انها من الثياب الحارية . واليها أشير في شعر امرىء القيس :

فلما دخلناها أضفنا ظهورنا الى كل حاري حديد مشطب[11]

---

١ الطبقات ، لابن سعد (١/٣٥٧) .
٢ المعرب (ص ٢٧٢) ، جامع الاصول (٤/٤٠٨) .
٣ تاج العروس (٧/٣٣٥) .
٤ تاج العروس (٧/٣٤١) .
٥ تاج العروس (٧/٣٤٢) .
٦ تاج العروس (١/٣٨٣) ، المغرب (٢/٤٥) .
٧ شمس العلوم (١/١٥٤) .
٨ اللسان (٣/٨٧) ، النهاية في غريب الحديث والاثر ، (١/٨٦) .
٩ تاج العروس (٣/٤١٢) .
١٠ اللسان (١/٤٩٤) .
١١ العمدة ، لابن رشيق (٢/٢٢٠) .

وعرفت (صنعاء) بوشيها وبأنواع أخرى من النسيج[1] .

وعرفت اليمن بنوع من البرود سُمّي (عَصْباً) لأن غزلـه يعصب ، أي يدرج ، ثم يصبغ . وذكر أنها خاصة باليمن ، لأنها تصبغ بالعصب . ولا ينبت العصب والورس إلا باليمن[2] . وقيل العصب برود مخططة ، اشتهرت بها اليمن[3].

والمسندة والمسندية وأثواب سند ، نوع من البرود اليمانية[4] . والثياب القدمية منسوبة الى موضع باليمن[5] . وثوب (أكباس) (أكباش) من برود اليمن[6] .

وهناك ضرب من البُرود قيل له (القطرية) والمفرد (قطري) . وكان الرسول متوشحاً بثوب قطري . كما كان على عائشة درع قطري ثمنه خمسة دراهم،وذكر أن البرود القطرية حُمر لها أعلام فيها بعض الخشونة ، وأنها تأتي من (قطر) بسيف البحرين[7] .

وعرفت الأنسجة اليمانية المصنوعة من الكتان في كل مكان من جزيرة العرب . وقد كانت لباس الأغنياء والوجهاء . وتعطي أنسجة الكتان برودة خاصة في الصيف ، ولهذا كانت رائجة في كل مكان . وقد كانت مصر ذات شهرة خاصة في تصدير أنسجة الكتان ، فقد كان كتانها لطيفاً ناعماً . ولهذا بيع بثمن مرتفع . وذكـر علماء العربية أن الكتان لفظة عربية النجار،سمي بذلك لأنه يُخيس ويلقي بعضه على بعض حتى يكتن[8] .

و (البرجد) ، كناية عن كساء ضخم مخطط . وقد ذكر في شعر طرفة[9]. وذكر انه كساء من صوف أحمر[10] .

والعباءة ، هي مقابل (س م ل ه) (سمله) (شمله) عنـد العبرانيين

---

١ نهاية الارب (١/٣٦٩) .
٢ اللسان (١/٦٠٤) ، الروض الانف (١/٧١) .
٣ تاج العروس (١/٣٨٣) ، (عصب) .
٤ اللسان (٣/٢٢٣) .
٥ اللسان (١٢/٤٧٢) .
٦ اللسان (٦/٣٣٩) .
٧ اللسان (٥/١٠٦) .
٨ اللسان (١٣/٣٥٥) .
٩ شرح المعلقات ، للزوزني (ص ٤٨) « دار صادر » ، شمس العلوم (حـ ١ ق ١ ص ١٤٩) .
١٠ تاج العروس (٢/٣٠١) ، (البرجد) .

و « Himation » عند اليونان[1]، وتلبس فوق الألبسة . وتكون بعضها ثقيلة تصنع من الوبر أو الصوف ، وتستعمل في الشتـــاء خاصة وفي الأوقات الباردة ، وبعضها خفيف ، يصنـــع من الصوف أو من شعر الماعـــز . وتستعمل في الأوقات التي لا يكون فيها البرد شديداً وفي أيام الصيف . وقد يستلقي عليها الانسان ، فتكون بمثابة فراش له . وقد تصنع العباءة من قطعتين من القماش ، وقد تصنع من قطعة واحدة . وهي أحسنها وأغلاها . وتكون عباءة الأغنياء والرؤساء من قماش جيد منسوج نسجاً خاصاً محلاة في الغالب من ناحية العنق والصدر والجهـــة العليا من اليدين بخيوط من الحرير أو الذهب يروفها (الروّاف) ، بأشكال متعددة فيختلف سعرها لذلك باختلاف الجهد الذي بذله الروّاف في تطريزها وفي زخرفتها .

وتصنع أحسن العباءات من الوبر[2] . وقد تفنن فيها ، وتخصصت بعض الأماكن بنسجها . ولا تزال هذه الصناعة باقية تدر على أصحابها ربحاً يتعيشون منه ، كما تصنع من أوبار الجمال أشياء أخرى عديدة . على أن القرن العشرين قد علّم سكان الجزيرة تصدير الوبر الى الخـــارج الى المعامل الحديثة لاستعماله مع الأصواف في صناعة الغزل والنسيج .

والشملة : كساء دون القطيفة يشتمل به كالمشمل . والمشملة عند العرب مئزر من صوف أو شعر يؤتزر به ، فإذا لفق لفقين ، فهي مشملة يشتمل بها الرجل إذا نام بالليل . وقيل المشملة والمشمل : كساء له خمل متفرق يلتحف بـــه دون القطيفة . واشتمل الثوبَ أداره على جسده كله حتى لا تخرج منه يده[3] .

وقد ذكر أن الجاهليين كانوا يستوردون الجبب والأردية والأقمصة والأقمشة من بلاد العراق والشأم ، وكانت غالية الثمن وذات قيمة عندهم ، لحسن صنعتهـــا وإتقان قماشها . وقد كانت للرسول جبة من صنع بلاد الشأم[4] ، وكان له طيلسان مدبج، أي منقوش الأطراف بالديباج[5] . وفي جملة ما استورد من مصر من ألبسة

---

١ Hastings, Dict. of the Bible, Vol., I, p. 625, Hastings, a dictionary of christ and the Gospels, vol., I, p. 498, ff.

٢ تويتشل (الصفحة ٣٢) ، اللسان (/١١٨) ، المخصص (١١٨/٤) .

٣ تاج العروس (٣٩٧/٧) ، (شمل) .

٤ عمدة القاري (٣٠٣/٢١) ، « والجبة : ثوب من المقطعات يلبس » ، تاج العـــروس (١٧٣/١) .

٥ المغرب (ص ١٧٤) .

وثياب ، القبـــاطي وهي ثياب بيض دقيقة رقيقة تتخذ بمصر[1] ، والقسيّ وهي ثياب منسوجة من كتـــان وابريسم مضلعة ، تصدر من مصر ، من قرية تسمى القسي فنسبت اليها .

وقد بقيت مصر تصدر القباطي حتى في الاسلام . وذكر علماء اللغة أن القباطي والثياب القبطية منسوبة الى القبط ، أهل مصر الخلص من ولد القبط بن حام بن نوح على رأي بعض النسابين ، أو من ولد قبط بن مصر بن فوط بن حام على رأي فريق آخر . وذكر أن لفظة قبطية ، وردت في شعر لزهير هو هذا البيت:

لِياح كأن بالأتحمية مسبع إزاراً وفي قبطية متجلبب[2]

وورد ذكرها في بيت شعر آخر ينسب له أيضاً هو[3] :

ليأتينك مني منطق قـــذع باق ، كما دنس القبطية الودكُ

وقد ورد ذكرها في كتب الحديث ، فقد ذكر أن الرسول كسا (أسامة) قبطية[4] .

وأشير الى ثياب بيض قيل لها (القبطرى) . وزعم بعض علماء اللغة أن في الكلمة غلط ، وأن الراء زائدة[5] .

وعرفت بعض الثياب بـ (الأنماط) ، جمع (نمط) ، وهي الثياب المصبغة . وفي حديث (ابن عمر) أنه كان يجلل بدنه بالأنماط . وذكر أن الأنماط ضرب من البسط له خمل رقيق[6] .

---

١ المغرب (٢/١٠٧) ، جامع الاصول (٤/٣٩٥) ، اللسان (٧/٣٧٣) .
٢ تاج العروس (٥/٢٠٠) .
٣ اللسان (٧/٣٧٣) .
٤ المصدر نفسه .
٥ اللسان (٧/٣٧٣) .
٦ قال المتنخل :
علامات كتحبير النماط
اللسان (٧/٤١٧ وما بعدها) .

ويقال للنمط الزوج كذلك . وقيل الزوج : الديباج واللون[1] .

وأما السبج ، فالسبجة درع عرض بدنه عظمة الذراع ، وله كُمّ صغير نحو الشبر ، تلبسه ربات البيوت . وقيل هي بردة من صوف فيهـا سواد وبياض . وقيل ثوب له جيب ولا كمّين له ، يلبسه الطيّانون . وقيل هي مدرعة كُمها من غيرها . وقيل كساء أسود ، أو القميص . وهي لفظة معربة أصلها بالفارسية (شبي) . وذكر ان (السباج) ثياب من جلود[2] .

وقد كانت بعض الثياب المستوردة من بلاد الشأم ومصر ومن الأرضين التي تسودها أكثرية نصرانية ترد وعليها صلبان منسوجة . فلما جاء الاسلام ، وأمـر بطمس الصلبان ، كان الرسول اذا رأى الصليب في ثوب قضبه وقطع موضعه أو نقشه[3] .

وإذا كان الحرير المعروف بـ (الخسرواني) ، معروفاً حقاً عند الجاهليين ، فإنه يدل على انه كان مستوردا من العراق ، بدلالة اسمه عليه . ويذكر علماء اللغة انه منسوب الى الأكاسرة ، وانه حرير رقيق حسن الصنعة[4] .

ولفظة (حرير) من الألفاظ المستعملة في العربية ، غير أن من الصعب تعيين أصلها . وقـد ذكر (سترابون) أن اليونان أخذوا الحرير من الهنود . ولذلك أطلقوا عليه لفظة أخذوها من اسم أحد الشعوب الهندية . أما العبرانيون فقد أطلقوا عليه لفظـة (مسى)[5] . وقد ذهب بعض الباحثين الى أن لفظة (سريقوم) « Sericum » الواردة في النصوص الكلاسيكية تعني الحرير الخام . ووردت في العبرانية لفظة (دمشق) « Demeshek » ، يرى بعض العلماء أنها تعني حريراً دمشقياً ،

---

١ قال الاعشى :

وكل زوج من الديبـاج يلبسه أبو قدامة ، محبو بـذاك معـا

وقال لبيـد :

من كل محفوف ، يظـل عصية زوج ، عليـه كلـه وقرامهـا

اللسان (٢/٢٩٣) .

٢ اللسان (٢/٢٩٤) .

٣ المعرب (ص ٣٠٥)

٤ المعرب (ص ١٣٥) ، « والخسرواني (بضم الاول والثالث) : شراب ونوع من الثياب كالخسروي . قال الزمخشري : منسوب الى خسروشاه من الاكاسرة » ، تاج العروس (٣/١٧٦) .

٥ اللسان (٤/١٨٤) ، Hastings, Vol. I, p. 624. (1910).

أي معمولاً بدمشق . وذهب آخرون الى أن اللفظة ، محرفة من لفظة (دمقس) الواردة في العربية ويراد بها نوع من الحرير أو الحرير الخام[1] . والديباج من الثياب المعمولة من الحرير . واللفظة من الألفاظ الفارسية المعربة[2] .

ومن الثياب والأقمشة التي تحمل اسماً معرباً (الدخدار) . وهو كما يقول (الجواليقي) (تخت دار) بالفارسية . وذكر أنه ورد في هذا البيت منسوب الى عـدي بن زيد العبادي :

تلوح المشرفيـة في ذراه ويجلو صفح دخدار قشيب[3]

وأشير إلى (الديباجة) في شعر (حسان بن ثابت) ، ويراد بها الثياب المتخذة من الابريسم[4] .

وقد وردت في القرآن الكريم لفظة (سندس) ، وذهب العلماء إلى ان المراد بها رقيق الديباج ، وذكر بعضهم أنه ضرب من (البزيون) يتخذ من المرعزاء ، واللفظة من الألفاظ المعربة[5] .

وأما الاستبرق ، فإنه ما خشن من الديباج على رأي بعض العلماء . وأصله من الفارسية ، فهو من المعربات[6] .

وكان الأغنياء وسادات القبائل يلبسون الألبسة المنسوجـة من الحرير ، وهي ثمينة غالية ، يستوردونها من الخارج ، وينسج بعض منها في اليمن . وقد نهى

---

١ Smith, Dicti. of the Bible, Vol. II, p. 1310 f.

٢ المعرب (ص ١٤٠) ، تاج العروس (٣٧/٢) ، المخصص (٧٦/٤) .

٣ المعرب (ص ١٤١) ، « الدخدار ، بالفتح : ثوب أبيض مصون ، أو أسود . وقد جاء في الشعر القديم . وهو معرب تخت دار ، فارسية ، أي يمسكه التخت ، أي ذو تخت . وقال بعضهم : أصله تختار ، أي صين في التخت ، والاول أحسن . » ، تاج العروس (٢٠٣/٣) .

٤ البرقوقي (ص ١٤٦) ، تاج العروس (٣٧/٢) ، (دبج) .

٥ المعرب (ص ١٧٧) ، « السندس (بالضم) : البزيون ... وقال الليث : انه ضرب من البزيون ، يتخذ من المرعزي ، أو ضرب من البرود . وفي الحديث : ان النبي صلى الله عليه وسلم ، بعث الى عمرو (رضي الله عنه) بجبة سندس . قال المفسرون في السندس : انه رقيق الديباج ورفيعه ، وفي تفسير الاستبرق : غليظ الديباج ، ولم يختلفوا فيه . معرب بلا خلاف عند ائمة اللغة » ، تاج العروس (١٦٨/٤) .

٦ اللسان (٥/١٠) ، المخصص (٧٦/٤) .

الاسلام عن لبس الحرير ، لما في ذلك من ترف يميت الرجولة ومن تشبّه بمترفي العجم ، ومن تأثير يتركه استعماله في نفوس الفقراء .

ومن أنواع الثياب الجيدة المصنوعة من القز الأبيض (الدمقس) ، وهو ناعم وذكر علماء اللغـة أن اللفظة من الألفاظ المعربة القديمة الواردة في شعر لامرىء القيس[1] . ويرى بعض الباحثين أن الدمقس تحريف (مدقس) وهو الحرير الأبيض، وأن أصلها يوناني هو : « Metaxa »[2] .

ويعرف الحرير الجيد بالسَّرق ، وقيل : السرق شقق الحرير أو الأبيض أو الحرير عامة . وذهب بعض العلماء الى أنها من الألفاظ المعربة عن الفارسية ، وأن أصلها سَرَه أي جيد . وقد ورد في الحديث : انك في سرقة من حرير ، أي قطعة من جيد الحرير[3] . ويقال للسرق (سريكون) « Sirikon » « Sericum » في اليونانية[4] . ويراد بها الحرير عامة . ومن هذا الأصل جاءت لفظة (السرق) على ما أرى .

ويعرف الحرير بـ (مشى) و (دمشق) في العبرانية . وقد ذهب بعض علماء التوراة أن للفظة (دمشق) صلة بدمشق الموضع المعروف . ودمشق من المواضع المشهورة منذ القديم بنسج الحرير . وذهب آخرون أنها من أصل (دمقس) ، تحرف فصار (دمشق) ولا علاقة لها بدمشق . وأما لفظة (حرير) ، فتعرف بـ « Sericum » عند اليونان واللاتين كما ذكرت . أما لفظة (حرير) المستعملة في العربية ، فإن من الصعب تعيين أصلها والوقت الذي ظهرت فيه[5] .

والخز : ثيـاب تنسج من صوف وإبريسم ، وقيـل انه الثياب المعمولة من

---

١ فظل العذارى يرتمـين بلحمهـا وشحم كهـداب الدمقس المفتـل
المعرب (ص ١٥١) ، « الدمقس (كهزبر) ، الابريسم أو القـز ... أو الديباج أو الكتان ... والدمقس والمدقس مقـلوب ... وثوب مدمقس منسوج به » ، تاج العروس (٤/١٥٤ وما بعدها) .

٢ غرائب اللغة (ص ٢٥٨) .

٣ تاج العروس (٦/٣٧٩) ، المعرب (ص ١٨٢) ، المخصص (٤/٦٨) .

٤ غرائب اللغة (ص ٢٥٩) .

٥ Smith, A dict. of the Bible, Vol. III, p. 1310 f.
Hastings, Dict. of the Bibl., Vol. I, p. 624.

الإبريسم[1] . وقيل انه الحرير[2] . وذكر علماء اللغة أن (اللاذ) ثياب من حرير تنسج بالصين ، وأن (الاضريج) الخز الأصفر ، وأن المطرف : ثوب مربع من خز له أعلام[3] .

وربما كان (الديبوذ) و (الديابوذ) من الثياب التي وصلت إلى الحجاز من الاتصال التجاري بالعراق . واللفظة من المعربات . ذكر الجواليقي انها من الألفاظ الفارسية الأصل ، وان المراد بها ثوب ذو نيرين ، وأورد شعراً للأعشى جاءت فيه هذه اللفظة[4] .

وقد وردت في القرآن الكريم لفظة (سرابيل) جمع (سربل) . وذكر علماء اللغة أن (السربال) القميص من أي جنس كان[5] ووردت السربال في شعر منسوب إلى الأعشى :

مقلص أسفل السربال معتمر[6]

وفي هذا المعنى لفظة (سروال) ، والجمع (سراويل) والسربال هو (سربالين) (س ر ب ل ي ن) في العبرانية[7] . وهو أيضاً (السروال) في العربية و (الشروال) من أصل فارسي . وقريب من السربال والسروال (اللباس) الطويل المستعمل عند أهل القرى والفلاحين وبين كثير من أهل المدن في الوقت الحاضر . يشد عند

---

١ اللسان (٥/٣٤٥) ، تاج العروس (٤/٣٣) .
٢ المخصص (٤/٦٨) .
٣ المخصص (٤/٦٨) .
٤ المعرب (ص ١٣٨ وما بعدها) ، « الديبوذ : ثوب ذو نيرين ... معرب ، فارسيته دوپوذ (بالضم) ، ونقله الجوهري عن أبي عبيدة ، وأنشد بيت الاعشى يصف الثور :
عليه ديابوذ تسربل تحته أرندج أسكاف يخالط عظما » ،
تاج العروس (٢/٥٦٢) .
٥ المفردات (ص ٢٢٨) .
٦ برصوم : الالفاظ السريانية (ص ٢٥٨) ، « السربال ، بالكسر : القميص أو الدرع أو كل ما لبس فهو سربال والجمع سرابيل . قال الله تعالى : وسرابيل تقيكم بأسكم . ومنه قول كعب بن زهير :
شم العرانين أبطال لبوسهم من نسج داود في الهيجا سرابيل
... وقد تسربل به وسربلته اياه ، ألبسته السربال . ومنه حديث عثمان رضي الله تعالى عنه : لا أخلع سربالا سربلنيه الله تعالى . السربال القميص وكني به عن الخلافة » ، تاج العروس (٧/٣٧٤) .
٧ Hastings, Dict. of the Bible, Vol. I, p. 625 f.

الخصر ثم يعرض وينتهي بفتحتين ضيقتين لدخول الرجلين منها . ولا زال (الشروال) مستعملاً بين الايرانيين والأكراد وفي بلاد الشأم . وقد ذكر علماء اللغة أن السروال لفظة معربة من أصل فارسي . وورد «في حديث أبي هريرة : أنه كره السراويل المخرفجة » أي (الواسعة الطويلة)[1] . وقد اشتهر الفرس بلبس السراويل ، والظاهر أن الرسول كره السراويل الواسعة الطويلة ، لأنها كانت من سنة الأعاجم . فأراد عدم التشبه بهم . وأما القميص ، فقد يقال له (الدرع) والسربال[2] .

وأما (القز) (القهز) ، فهما ثياب صوف كالمرعزي وربما خالطها الحرير[3] . وأما (الزازفية) ، فثياب بيض من كتان[4] . وأما (الخنف) فما غلظ من الثياب[5] .

ومن الأكسية (الجودياء) ، وقد ذكر بعض علماء اللغة أنها لفظة معربة عن أصل فارسي أو نبطي ، وذكروا أن الأعشى تصرف بها في شعره فجعلها (اجياد)[6] .

وهناك نوع من أنواع القميص أو البرد المنسوجة من الصوف فيها سواد وبياض يقال لها (سبيج) (السبيج) و (السبجة) و (السبيجة) . وقد ذكر الجواليقي أنها من الألفاظ المعربة[7] .

والطيلسان : من الألفاظ المعربة ، ويراد بها ثوب يلبس على الكتف ، أو ثوب يحيط بالبدن ينسج للبس ، خال عن التفصيل والخياطة . وذكر أيضاً أنه كساء مدور أخضر ، لا أسفل له ، لحمته أو سداه من صوف[8] . وقد اشتهرت

---

١ اللسان (١١/٣٣٤) .
٢ اللسان (٧/٨٢) ، (١١/٣٢٥) .
٣ المخصص (٤/٦٨) .
٤ النهاية في غريب الحديث (١/٨٣) .
٥ النهاية (١/٤) .
٦ « والجودياء (بالضم) : الكساء ، نبطية او فارسية . وعربها الاعشى فقال :

وبيداء تحسب آرامها رجال اياد بأجيادها

وأنشد شمس لابي زبيد الطائي في صفة الاسد :

حتى اذا ما رأى الانصار قد غفلت واجتاب من ظله جودي سمور

قال : جودي بالنبطية هي جودياء ، أراد جبة سمور » ، تاج العروس (٢/٣٢٨) ، المعرب (ص ١١١ وما بعدها) .
٧ المعرب (ص ١٨٢) ، تاج العروس (٢/٥٦) .
٨ المعرب (ص ٢٢٧) ، المغرب (٢/١٦) .

الفرس بلبسه ، ويسمى عندهم بـ (تالسان) ، حتى استعمل العرب جملة : « يا ابن الطيلسان » أي يا ابن الأعجمي في الشتم ، وذلك من تطلسهم به[1] .

والساج : الطيلسان الضخم الغليظ ، وقيل : هو الطيلسان المقوّر ينسج كذلك، وقيل : هو طيلسان أخضر . وفي حديث ابن عبّاس ، أن النبي ، كان يلبس في الحرب من القلانس ما يكون من السيجان الخضر،جمع ساج ، وهو الطيلسان الأخضر ، وذكر (ابن الأعرابي) : السيجان الطيالسة السود[2] .

و (الشوذر) من الألفاظ المعربة القديمة على رأي بعض العلماء ، ويراد بها الملحفة والإزار[3] .

وقد اشتهرت اليمن بصنع الأزر ، واشتهرت بهذه الصناعة مواضع أخرى . وقد كان العراق يصدر الأزر إلى جزيرة العرب . واشتهرت ازره عند العبرانيين. فأطلقوا عليها (ازرت شنعار) (ازرت شنعر) ، أي (ازر شنعار) . ويريدون بشنعار ما يقال له أرض بابل . وهو من نسيج جيد مبروم . وقد عرفت بـ (لُبلّي برمه) « Lubulti birme » ،وعرف النساج الذي اختص بهذا النوع من الأزر بـ (اشبر برمي) « Ushbar Birmi »[4].

و (القهز) و (القهزى) ، ثياب بيض يخلطها حرير . وهي من الألفاظ المعربة. وذكر بعض علماء اللغة أن الأصل الفارسي هو (كهزانة)[5] .

والخميصة : ثوب أسود معلم من خز أو صوف . وأما الأنبجانية فكساء له خمل ، وقيل : الغليظ من الصوف . والفروج : القباء له فرج من وراء أو من أمام . وأما المِرْطُ فالكساء يتغطى به[6] .

ومن أنواع الثياب (القباء) . وقد ذكر بعض العلماء ان اللفظة فارسية الأصل معربة[7] .

---

١ تاج العروس (١٧٩/٤) .
٢ اللسان (٣٠٢/٢ وما بعدها) .
٣ المعرب (ص ٢٠٥) ، « والشوذر : الملحفة معرب ، فارسيته جادر » ، تاج العروس (٢٩٤/٣) .
٤ Hastings, Dict. of the Bible, Vol. I, p. 230.
٥ المعرب (ص ٢٦٣) ، « ثياب تتخذ من صوف أحمر كالمرعزي وربما يخالطه الحرير . وقيل هو القز بعينه . وأصله بالفارسية كهزانه » ، تاج العروس (٧٢/٤) .
٦ جامع الاصول (٤٩٦/٧) .
٧ المعرب (٢٦٢) ، تاج العروس (٢٨٦/١٠ وما بعدها) .

و (النرمق) ثياب لينة بيض ، وهي من الألفاظ المعربة عن الفارسية ، وأصلها (نرمه)[1] . وأما (النمرق) و (النمرقة) ، فالوسادة أو الميثرة والطنفسة[2] .

ولاحتياج الانسان الى الملابس في كل زمن ، كانت حرفة الغزل والحياكة يحترفها كثير من الناس وتعيش عليها أسر عديدة . ويمكن عدّها من أهم الحرف في ذلك العهد ، وعد العمال المشتغلين بها من أكثر عمال الحرف الأخرى عدداً . ولم يكن المتعاطون لهذه الحرف هم أصحاب معامل النسيج ، ولكن أصحابها الأغنياء والمتمولون . أما المشتغلون بها ، فعمال يشتغلون فيها بأجر يتقاضونه ، ومنهم من كان رقيقاً مملوكاً يعمل لحساب سيده ومالكه ، في مقابل قيامه بأوده . والقليل من العمال من كان يملك مصانع نسيج ، تعمل له وتدر الربح عليه .

بل كان الملوك يشاركون الشعب في امتلاك دور النسيج وينافسونهم في الإنتاج . وفي نصوص المسند إشارات عديدة الى دور الحياكة والنسيج الملكية ، والى انتاجها واشتغالها . ولا يستبعد احتكارهم لها أو احتكار صناعة بعض الأنواع من النسيج وبيع الأقمشة . وقد علمنا في الجزء السابق من هذا الكتاب أن البطالمة كانوا قد احتكروا بيع أنواع معينة من النسيج وصناعتها . وقد ظل احتكار حكومات مصر لأنواع معينة من النسيج معروفاً الى الاسلام ، تنسجها في معاملها ، ولا تسمح للأهلين بإنتاجها ، كما فعل ذلك غير المصريين أيضاً . فصناعة النسيج صناعة مهمة ذات أرباح وفوائد،وهي من أهم الصناعات في المجتمع . ولأرباحها هذه ولكونها مورداً مهماً ، فكرت بعض الدول في احتكارها ، للحصول على أرباحها ، كما تفعل الدول في الزمن الحاضر في احتكار بعض الصناعات والمناجم وبعض المصالح العامة مثل سكك الحديد أو التلفون والبرق وغير ذلك لتكون مورداً يمون الدولة بالمال.

ومن أسماء القطن (الطوط) ، وقيل : الطوط قطن البردي . وورد في شعر لأمية ابن أبي الصلت :

والطوط نزرعه أغن جراؤه فيه اللباس لكل حول يعضد[3]

---

١ المعرب (ص ٣٣٣ وما بعدها) ، تاج العروس (٧/٧٥) .
٢ تاج العروس (٧/٨١) .
٣ تاج العروس (٥/١٧٩) ، (طوط) .

ولم يقتصر عمل الحائك على حياكة الأقمشة ونسجها وحدها ، بـــل شمل عمله كل شيء يحاك ، مثل البسط والطنافس والسجاجيد و (الدرانك) التي هي نحو من الطنافس والبسط . ويذكر علماء اللغة أن اللفظة من المعربات . وذكـر بعض العلماء أن (الدرنوك) و (الدرموك) ضرب من الستور والفرش ، يكون فيها الصفرة والخضرة ، وقال بعض آخر : انه ضرب من الثياب له خمل قصير كخمل المناديل ، وبه شبـــه فروة البعير . وورد انه الطنفسة والبسط ذات الخمل . وقد تكون كبيرة تفرش البيت[1] . والأنماط ، وهي ضرب من البسط[2] ، وضرب من الثياب المصبغة ، وثياب من صوف تطرح على الهودج[3] . والنساجة وهي ضرب من الملاحف المنسوجة[4] . والقطيفة وهي دثار مخمل . وقيل هي كساء مربع غليظ له خمل ووبر[5] . والوسادة وهي المخدة[6] . والنمرقة وهي الوسادة ، وقيل الصغيرة منها ، أو هي الميثرة ، وتوضع على الرحل كالمرفقـة ، غير ان مؤخرها أعظم من مقدمها ولها أربعة سيور تشد بآخرة الرحل[7] .

وهناك حرفة أخرى لها علاقة بالنساجة والحياكة ، هي الخياطة[8] . وحرفـة الخياط تحويل الأقمشة الى كسوة ، وصنع الثياب والعمائم بتفصيل القماش وقصه ثم خياطته على وفق القياس المطلوب . وهي حرفة تروج في المدن . أما في البادية ، فتقوم المرأة بعمل الضروريات ، ويلتجيء الرجال الى القرى والمدن في شراء مـا يحتاجون اليه من ثياب . ونجد بين أسماء الثياب ، ما هو معرب ، مما يدل على أنه منقول مستورد ، وأن الخياطين الجاهليين قد رأوه فقلدوا صنعه .

كذلك نجد بين أسماء أجزاء الثوب أسماء معربة. فذكر علماء اللغة أن (الدخريص) و (التخريص) من المصطلحات المعربة ، وأن أصلها فارسي ، وهي تعني (البنيقة) و (اللبنة) . وقد وردت (الدخارص) في شعر منسوب الى الأعشى[9] .

---

١ المعرب (ص ١٥٢) ، تاج العروس (٧/١٢٩) .
٢ جامع الاصول (٤/٣٩٥) ، تاج العروس (٥/٢٣٤) .
٣ المعرب (٢/٢٣١) ، تاج العروس (٣/٢٣٤) .
٤ جامع الاصول (٤/٣٩٩) .
٥ المغرب (٢/١٢٨) ، تاج العروس (٦/٢٢٤) .
٦ جامع الاصول (٤/٤٠٢) ، تاج العروس (٢/٥٣٤) .
٧ تاج العروس (٧/٨١) .
٨ تاج العروس (٥/١٣١) .
٩ المعرب (ص ١٤٣ وما بعدها) ، تاج العروس (٤/٣٩٣) ، (٦/٣٠٠) .

ويعبر عن (الخيّاط) بلفظة (درز) ، و (بنو درز) الخيّاطون والحاكة[1] . و (الخياط) الإبرة[2] . والإبرة ، هي التي يخاط بها ، وذلك بإدخال الخيط في سمّها أي في ثقب الإبرة ، وتخييط ما يراد تخييطه بها . والخياطة صناعة الخائط[3] . ويقال للذي يُسوّي الابر الأبّار[4] . و (السم) الثقب ، ومنه (سم الخياط) ، أي سم الإبرة[5] .

ومن أسماء الخياط : (القراريّ) . قال الأعشى :

يشق الأمور ويجتابهـــا كشق القراري ثوب الردن[6]

ويعبر عن خياطة الخياط الثوب خياطة متباعدة بـ (شمج) و (شمرج) ، وذلك بأن يباعد بين الغرز . و (الشمرج) الرقيق من الثياب وغيرها[7] .

ويعبر عن الخيط بلفظة (السلك) و (السلكة)[8] .

والثوب اللباس[9] ، وهو ما يلبس[10] . ولذلك فهما من الكلمات العامة التي تطلق على أشياء عديدة . وقد اشتهرت بعض الثياب بكونها ثياب رقاق ، منها(السبوب) والسب : الشقة البيضاء ، وكذلك الخمار . و (الشف) ، وهو الثوب الرقيق ، و (اللهله) و (النهنه) ، الثوب الرقيق النسج . وثوب هلهل وهلهال ، رقيق النسج ، وهو المتدارك النسج[11] .

والمواد التي يستعين بها الخياط في صنع الثياب والاكسية هي الأنسجة المصنوعة من القطن أو الحرير أو الكتان أو الأصـــواف أو الشاش أو البز أو الكرباس .

---

١ اللسان (٥/٣٤٨) .
٢ بكسر الخاء .
٣ اللسان (٥/٢٩٨ وما بعدها) .
٤ اللسان (٤/٤) .
٥ اللسان (١٢/٣٠٣) .
٦ اللسان (١٣/١٧٧) .
٧ اللسان (٢/٣٠٨ وما بعدها) .
٨ اللسان (٥/٢٩٨) ، (١٠/٤٤٣) .
٩ اللسان (١/٢٤٥) .
١٠ القاموس (٢/٢٤٨) .
١١ المخصص (٤/٦٣) .

ولفظة (قطن) ، من الألفاظ التي يصعب تعيين أصلها . وقد ذهب كثير من الباحثين الى أنها من أصل هندي . وفي التوراة لفظة (كربس) « Karpas » ، أي الكرباس ، فسرها علماء التوراة بمعنى (قطن) . ولفظة (كرباس) معروفة في العربية . وهي من الألفاظ المعربة المعروفة عند الجاهليين. وترد في لغة بني إرم وفي العبرانية واليونانية واللاتينية . وقد ذهب بعض العلماء،أنها من أصل سنسكريتي وانها تعني شجرة القطن . وقد ذكرت اللفظة في تأريخ (هيرودتس) ، وعرفها اليونان الذين كانوا في حملة الاسكندر الكبير . ودعوها « Carbasus » و « Carbasina » . وقد أشار الى القطن (هيرودوتس) و (سترابو) وصاحب مؤلف « Periplus maris Erythr » و(لوقان) « Lucan » و« Quintus Curtius » وأشاروا الى صلتها بالهند [1] . واللفظة من الألفاظ الواردة في الفارسية أيضاً . وذهب علماء العربية الى ان الكرباس ثوب من القطن الأبيض معرب عن الفارسية[2]. وفي حديث عمر : « وعليه قميص من كرابيس » ، جمع كرباس وهو القطن[3] .

ومن أسماء القطن الخرفع والخرنع . وذكر أن (الطوط) ، هو قطن البردي[4] .

والبز عند علماء العربية : الثياب ، وقيل ضرب من الثياب ، وقيل البُز من الثياب أمتعة البزاز ، والبزاز بائع البَز وحرفته البزازة . والبِزّة الهيئة والشارة واللبسة[5] . وذكر ان (البز) ضرب من برود اليمن[6] .

واللباس والألبسة والملبس كل ما يلبس[7] . والكسوة ، اللباس أيضاً . والكساء واحد الأكسية[8] . وقد عرفت لفظة الكسوة في العربيات الجنوبية كذلك ، إذ وردت في بعض النصوص : (كسوت) (كشوا) (كشوي)[9] . وذكر علماء العربية ان الكساء الذي لا بطانة له ، يقال له : (كساء سمط)[10] .

---

١ Ency. Bibli., Vol. I, p. 915, Hastings, Diction. of the Bible, Vol. I, p. 623, Smith, Dict. of the Bible, Vol. I, p. 360.

٢ القاموس المحيط (٢/٩٣) ، تاج العروس (٤/٢٣١) .

٣ اللسان (٦/١٩٥) .

٤ المخصص (٤/٦٩) .

٥ اللسان (٥/٣١٢) .

٦ المعاني الكبير (٣/١١٧٥) .

٧ اللسان (٦/٢٠٢ وما بعدها) .

٨ اللسان (١٥/٢٢٣ وما بعدها) .

٩ Mahram, p. 439.

١٠ اللسان (٧/٣٢٤) .

وفي العبرانية لفظة (بجد) وتقابل (بجاد) و (بجد) في العربية ، وتعني اللباس عامة ، من دون تمييز . أما لفظة (لبوش) ، فهي من أصل (لبس) ، وهي في معنى (لبوس) و (لبس) في العربية [١] . والبجاد عند العبرانيين من الألبسة التي تستعملها الطبقات الراقية [٢] .

وذكر علماء العربية أن البجاد : كساء مخطط من أكسية الأعراب . وقيل : اذا غزل الصوف بسرة ونسج بالصيصة ، فهو بجاد . ويقال للشقة من البجد : قليح وجمعه (قلح) . وقيل البجاد الكساء [٣] . وقيل انـــه من وبر الإبل وصوف الغنم مخيطة [٤] .

ومن أنواع الأكسية : (المشملة) : كساء يشتمل به دون القطيفة . وذكر : المشمل : كساء له خمل متفرق يلتحف به دون القطيفـــة . وورد في الحديث : « ولا تشتمل اشتمال اليهود » ، وهو افتعال من الشملة ، وهو كساء يتغطى به ويتلفف فيه ، والمنهي عنه هو التجلل بالثوب وإسباله من غير أن يعرف طرفه [٥] . وهو (سملة) « Simlah » و « Salmah » عند العبرانيين .

و (البرنس) : كـــل ثوب رأسه منه ملتزق به دُرّاعة كان أو ممطراً أو جُبّة . وذكر أن (البرنس) قلنسوة طويلة ، وكان النسّاك يلبسونهـا في صدر الإسلام . وهو من (البرس) ، القطن [٦] . وعرف بهذه التسمية أيضاً عند العبرانيين [٧] .

والمُلاءة : الريطة ، وهي الملحفة والإزار [٨] . وذكر أن الريطة الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين ، وقيل : الريطة كلا ملاءة غير ذات لفقين كلهـا نسج واحد ، وقيل : هو كل ثوب لين دقيق . والرائطة : المنديل [٩] .

---

١ Ency. Bibli., Vol. I, p. 1135. f.
٢ The Bible Dictionary, I, p. 30.
٣ اللسان (٣/٧٧) .
٤ شرح المعلقات العشر ، للتبريزي (ص ٧٧) .
٥ اللسان (١١/٣٦٩) .
٦ اللسان (٦/٢٦) .
٧ The Bible Dictionary, I, p. 96.
٨ اللسان (١/١٦٠) .
٩ اللسان (٧/٣٠٧) .

والإزار : الملحفـــة ، والمئزرة : الإزار [1] . والرداء الذي يلبس ، والجمع أردية [2] . وذكر أن المئزر من الصوف أو الشعر يؤتزر به، فإذا انفق فهو (شملة) يشتمل بها الرجل اذا نام بالليل [3] .

والردن : الكُمّ . يقـال : قميص واسع الردن . وذكر أن الردن مقدم كمّ القميص ، وقيل هو أسفله ، وقيل : هو الكمّ كله [4] .

ويصنع الخياط الهمايين جمع (الهميان) ، ويراد به الحزام وبه كيس تجعل فيه النفقة ويشد على الوسط . وقد يصنع من الجلود أيضاً ، وهو من الألفاظ المعربة من الفارسية [5] .

أما (الكيس) ، فهو لحفظ ولخزن ولحمل الأشيـاء . ويعرف بـ (كيس) في العبرانية كذلك ، وقد يصنع من الجلد . وأما (الخريطة) ، فإنها (خريط) في العبرانية . وتحفظ فيها الأشياء الثمينة ، وقد تحلى وتزخرف . وأما (الصرة)، وهي (صرور) في العبرانية ، فلصر الأشياء [6] . ولا تزال هـذه الأسماء مستعملة معروفة .

والجاهليون مثل عرب الاسلام في اختلاف ملابسهم ، فقـــد كانت ملابسهم تختلف باختلاف منازلهم ودرجاتهم . فللشرفاء والوجهاء أهل المـدن والقرى لبس خاص يميزهم عن الطبقات الدنيا من الناس . وللتجـــار لبس خاص بهم ، أما الأعراب ، فكانوا يتميزون أيضاً بطريقة لبسهم عن أهل المدن والقرى . ثم انهم عموماً كانوا يختلفون في ألبستهم باختلاف أمكنتهم وبحسب درجة اتصالهم واختلاطهم بالأعاجم . فقد كان عرب العراق قـد تأثروا بألبسة الفرس وبألبسة بني إرم ، فأخذوا منهم . وتأثر عرب بلاد الشأم بالروم ، فأخذوا منهم بعض ملابسهم ،

---

١ اللسان (١٦/٤ وما بعدها) .
٢ اللسان (٣١٦/١٤ وما بعدها) .
٣ الاغاني (٣٧٢/١) .
٤ اللسان (١٧٨/١٣) .
٥ المعرب (ص ٣٤٦) ، « والهميان دخيل معـرب . والعرب قد تكلمـوا به قديمـا ، فأعربوه . ويقال له هميان أعجر ، وهمايين عجر . وقد جاء ذكر لفظ الجمع في حديث النعمان يوم نهاوند : تعاهدوا همايتكم في أحقيكم وأشساعكم في نعالكم » ، تاج العروس (٣٦٧/٩ وما بعدها) .
٦ Hastings, Dict. of the Bible, Vol. I, p. 231.

حتى أسمائها ، احتفظوا بها ، وقد حفظتها لنا كتب الاسلاميين . وبعضها لا تزال حية نستعملها هذا اليوم . ولا تختلف ألبسة الرأس المعروفة عند الجاهليين عن ألبسة الرأس المستعملة بين الأعراب وفي قرى جزيرة العرب . فقد اقتضت طبيعة الصحراء ، أن يحمي الجاهلي رأسه بألبسة واقية تقيه من أذى أشعة الشمس المحرقة ومن الرمال التي تذرها العواصف في العيون وفي الأنوف ، فأوجد لنفسه ألبسة رأس مناسبة له ولبساطة حياته . فستر رأسه بقطعة قماش مربعة الشكل في الغالب، تمتد على أطرافه ليتلثم بها وقت ظهور العواصف وارتفاع الرمال ، أو وقت ظهور السموم ، فيحمي نفسه منهما ومن العطش ، كما يحمي مؤخر رأسه من أشعة الشمس ، ولتحميه من البرد في الشتاء كذلك . ويضع فوق هذه القطعة عقالاً ، يصنع من الصوف أو من شعر الماعز أو الوبر ، ليمسك قطعة القماش فلا تسقط . وتعرف قطعة القماش هذه بالكوفية وبـ (الكفية) في الوقت الحاضر ، ويقال لها وللعقال (الكفية والعقال) و (الكوفية والعقال) في اصطلاح المحدثين .

أما عرب بلاد الشأم ، فقد كانوا يضعون لباداً فوق رأسهم مصنوعاً من مادة مضغوطة من الصوف أو الوبر ، يشبه ما يسمى بـ (العرقجين) في العراق (العرقية) ، يلف حوله بقماش مختلف الألوان ، قد يمتد أحد طرفيه ، ليستعمل لثاماً للوجه وستراً للرقبة ، وهو زي الفلاحين والرعاة .

والعمامة من لباس الرأس عند الجاهليين . « والعرب تقول للرجل إذا سُوّد : قد عمم . وكانوا إذا سوّدوا رجلاً عمموه عمامة حمراء. وكانت الفرس تتوج ملوكها فيقال له متوج »[1] . ويقال لها (السبائب) كذلك . والعمامة : (السُب)[2] .

وعادة صبغ الثياب ، من العادات المعروفة عند العرب قبل الإسلام . وكانوا يستعملون في ذلك أصباغاً مختلفة، كالقرف وهو قشور الشجر ، والجذور يستخرجون ما فيها من مادة ملونة لصبغ ما يضعونه فيها من ملابس ، والأصباغ المستخرجة من بعض النباتات[3] . ولألوان العمائم أو الملابس دخل في المناسبات الاجتماعية ، فكانوا يستعملون للحرب مثلاً نوعاً خاصاً من العمائم ذوات ألوان خاصة ، تعبر

---

١ اللسان (١٢/٤٢٤) .
٢ اللسان (١/٤٥٦) ، الروض الانف (١/٥٩) .
٣ المخصص (١١/١٤) .

عن المواقع ، ويستعملون في الأحزان نوعاً خاصاً من العمائم والثياب ، وفي الفرح ملابس خاصة ، وهكذا ، كما كانوا يقومون بتجميرها في بعض الأحوال .

ويقوم بصبغ الثياب وقصرها الصباغون، يصبغون الملابس كما يصبغون الأقمشة قبل تفصيلها وخياطتها . وذكر أن الكهان كانوا لا يلبسون المصبغ[1] ، ولعلهم كانوا يفعلون ذلك بسبب اعتقادهم أن تابع الكاهن ينفر من الصبغ .

وفي جملة الأصباغ المعروفة والشائعة عند الجاهليين ، العصفر ، وهو نبت أصفر يستخرج منه صبغ أصفر ، تصبغ به الثياب والأقمشة وأمثالها . ومن هذه الصبغة جاءت لفظة (المعصفرات) ، ويراد بها الثياب المصبوغة بالعصفر[2]. والورس وهو صبغ أصفر ، يؤخذ من نبت طيب الرائحة تصبغ به الملابس ، فيقال ملحفة مورسة ، إذا كانت مصبغة بالورس[3] . وقد جاء النهي عن لبس الثياب المعصفرة في الاسلام[4] .

والثوب الأحمر ، هو الثوب المصبوغ بلون أحمر ، أما (الكرك) ، فالثوب الأحمر كذلك . و (ثوب مشرق) ، ثوب بين الحمرة والبياض ، و (ثوب قتمة) و (مقتوم) ثوب سواده ليس بشديد ، و (ثوب مفروك) ، مصبوغ بالزعفران ، وزبرقت الثوب زبرقة ، صفرته . وقد سمي (الزبرقان بن بدر) بذلك ، لصفرة عمامته[5] .

ويظهر ان الصباغين كانوا يمطلون بالمواعيد ويخلفون ، لذلك ضرب بهم وبالصياغين المثل في الخلف . وورد في الحديث : « أكذب الناس الصباغون والصوّاغون »[6] .

ويستعمل شعر الماعز في الغالب لصنع الخيام،وذلك للأعراب وللتجار والمسافرين وغيرهم . والاتجار بالخيام ، من التجارات التي كانت رائجة يومئذٍ ويستعمل شيوخ القبائل والرؤساء والملوك خياماً خاصة مصنوعة من أقمشة غليظة تتحمل المطر والعوارض الطبيعية الأخرى ، ولها أسعار غالية عالية ، تختلف باختلاف حجمها

---

١ بلوغ الارب (٣/٤٠٧) ، اللسان (٨/٤٣٧) .
٢ جامع الاصول (٤/٣٦٥) .
٣ المعرب (٢/٢٤٦) .
٤ صحيح مسلم (٦/١٤٤) .
٥ المخصص (٤/٩٥) .
٦ اللسان (٨/٤٣٧) .

ونوع القماش المصنوعة منه . ولبعضها قواطع تجزىء الخيمة الى أقسام تكون شبه غرف يسكن فيها . ويستعمل بعضها مضارب يعقد فيها ديوان الرئيس ، وبعضها معابد توضع فيها الأصنام والأشياء المقدسة التي تتنقل مع القبيلة ، يحملها الكهنة معهم.وقد أشير الى هذه الأصنام المتنقلة مع القبائل في الأخبار التي سجلها الآشوريون عن حروبهم مع الأعراب، كما كان العبرانيون يصنعون خياماً واسعة تكون مقدسة لخدمة الرب . ومن الخيم الكبار (الفسطاط) . ويطلق على الأبنية كذلك[1] .

والبساط ، ما بسط . وقد اشتهرت أنواع خاصة من البسط بين الجاهليين . منها بسط عبقر ، والبساط العبقري من الأبسطة الجيدة ، ومن عادة العرب أنهم اذا استحسنوا شيئاً أو عجبوا من شدته ومضائه نسبوه الى (عبقر) . وعبقر عندهم أرض من أرض الجن . وورد (ثياب عبقرية) نسبة الى عبقر . حتى قالوا : « ظلم عبقري » أي شديد فاحش[2] . ومن أنواع البسط : (النخ) . وهو بساط طوله أكثر من عرضه ، وهو فارسي معرب ، وجمعه نخاخ[3] .

وللعرب طرق في هيأة لبسهم وفي كيفية وضعها على أبدانهم ، ولا سيما أهل الحضر منهم . كما كانوا يكيفون لبسهم حسب المناسبات في مثل الغارات والحروب والسفر . ومن ضروب لبسهم ، ما يقال له : (الاضطباع) ، ويقال له : (التأبط) ، وهو أن يدخل الثوب من تحت يده اليمنى فيلقيه على منكبه الأيسر[4] .

ومن ضروب اللبس : (التفضل) ، وهو التوشح ، أن يخالف اللابس بين أطراف ثوبه على عاتقه . وأما (الفضلة) فالثياب التي تبتذل للنوم لأنها فضلت عن ثياب الصرف[5] . وعرف التوشح : أن يتوشح بالثوب، ثم يخرج طرفه الذي ألقاه على عاتقه الأيسر من تحت يده اليمنى ، ثم يعقد طرفيهما على صدره . وقيل : التوشح بالرداء مثل التأبط والاضطباع ، وهو أن يدخل الثوب من تحت يده اليمنى فيلقيه على منكبه الأيسر ، كما يفعل المحرم[6] .

وأما (الاشتمال) ، فهو ادارة الانسان الثوب على جسده كله حتى لا تخرج

---

١ المعرب (٢/٩٦) ، تاج العروس (٥/١٩٨ وما بعدها) .
٢ المخصص (٤/٧٣) .
٣ اللسان (٣/٦١) .
٤ اللسان (٧/٢٥٤) ، المخصص (٤/٩٧) .
٥ اللسان (١١/٥٢٦) ، المخصص (٤/٩٩) .
٦ اللسان (٢/٦٣٣) .

منه يده . وروي أن النبي نهى عن اشتمال الصّماء . والشملة الصّمّاء التي ليس تحتها قميص ولا سراويل ، وذكر أن اشتمال الصّماء هو أن يشتمل بالثوب حتى يجلل به جسده ولا يرفع منه جانباً ، فيكون فيه فرجة تخرج منها يده ، وهو التلفع ، وربما اضطجع فيه على هذه الحالة . وذكر الفقهاء : أن الاشتمال هو أن يشتمل بثوب واحد ليس عليه غيره ، ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه على منكبه فتبدو منه فرجة[1] .

(والسند) ، ضرب من ضروب اللبس عند العرب ، وهو أن يلبس قميصاً طويلاً تحت قميص أقصر منه . كما أن السند ضروب من البرود ، وضرب من الثياب . وذكر أن السناد هي الحمراء من جباب البرود[2] .

وإذا نام الشخص وأدخل رأسه في ثوبه قيل لذلك الكبس والكباس[3] . و (الكمكمة) التغطي بالثياب[4] .

وقد عرف الجاهليون (الكلل) . و (الكلة) : الستر الرقيق يخاط كالبيت يُتوقى فيه من البق[5] .

ويعبر عن الستر بـ (السجف) ، وهو قماش يستر به . والسجافة السدافة ، أي الحجاب . وكل باب ستر بسترين مقرونين فكل شق منه سجف . وقيل لا يسمى سجفاً إلا أن يكون مشقوق الوسط كالمصراعين[6] .

---

١ اللسان (١١/٣٦٨) ، المخصص (٤/٩٧) .
٢ اللسان (٣/٢٢١ وما بعدها) ، المخصص (٤/٩٩) .
٣ اللسان (٦/١٩٠) .
٤ اللسان (١٢/٥٢٨) .
٥ اللسان (١١/٥٩٥) .
٦ اللسان (٩/١٤٤) .